# تفسير سورة الأنعام

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن السيف

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

## تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [سورة الْأَنْعَام: ١].

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ (الْ) فِي الْحَمْدِ لِاسْتِغْرَاقِ الْجِنْسِ؛ أَيْ: أَنَّ عَامَّةَ أَلْفَاظِ الْحَمْدِ هِيَ لِلهِ تَعَالَى، واللهُ مُسْتَحِقٌّ لَهَا جَمِيعَهَا[1]، و(الْحَمْدُ) وصْفُ الْمَحْمُودِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، مَعَ الْمَحَبَّةِ والتَّعْظِيمِ[2].

﴿لِلَّهِ﴾ اللَّامُ فِي (لِلَّهِ) للاسْتِحْقَاقِ، فَجَمِيعُ الْمَحَامِدِ مُسْتَحِقَّةٌ لِلهِ تَعَالَى[3].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ خَلَقَ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ اللَّيلَ ﴿وَٱلنُّورَ﴾ النَّهَارَ[4]، وَهَذا مِنْ دَلَائِلِ أُلُوهِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ[5].

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مَعَ قِيامِ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يُشْرِكُونَ[6]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النَّمل: ٦٠][7].

***

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [سورة الْأَنْعَام: ٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ الَّذِي هُوَ أَصْلُكُمْ مِنْ طِينٍ[8]، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجْدَة: ٧].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٢٦٥)، تفسير القرطبي (٢/١٥٣).

(٢) ينظر: تفسير العثيمين – الفاتحة والبقرة (ص٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١/١٣٧)، فتح القدير(٢/١١٢).

(٤) ينظر: تفسير الماوردي (٢/٩٢).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٥٠).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٢٦).

(٧) ينظر: توفيق الرحمن في دروس القرآن (٣/٣٤٠).

(٨) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٢٦٦)، تفسير ابن كثير (٣/٢٣٩)، فتح القدير (٢/١١٣).

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أي: أنَّ اللَّهَ تَعالَى قَدَّر لِعِبادِهِ أَجَلَيْنِ: أَجَلًا لِكُلِّ إِنْسانٍ يَمُوتُ عِنْدَ انْتِهائِهِ)1(، وأَجَلًا آخَرَ مَعلومٌ عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ)2(، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيامَةِ لِيُحاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمالِهِمْ، كَما قالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [سُورَة هُود:١٠٣-١٠٤]، وقَال تَعالَى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَة الْواقِعَة:٤٩-٥٠].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تَشُكُّونَ فِي البَعْثِ بَعْد عِلْمِكُمْ أَنَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَمَنْ قَدَرَ عَلى الِابْتِداءِ فَهُوَ عَلى الإِعادَةِ أَقْدَرُ)3(، كَما قَال اللَّهُ تَعالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سُورَة الرُّوم:٢٧]، وقَالَ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة ق:١٥])4(.

**وَالْآيَتانِ فِيهِما مِنَ الْفَوائِد:**

**أولًا:** كمالُ قُدْرَةِ اللهِ تَعالَى وَوحدانيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَاسْتِحْقاقِهِ للعِبادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لِكَوْنِهِ الْخالِقَ العظيمَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ الليلَ وَالنَّهارَ، وَخَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ طِينٍ)5(.

**ثانيًا:** شِدَّةُ إِعْراضِ الْكافِرِينَ وَعِنادِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَهُمْ وَالْعِياذُ بِاللَّهِ مَعَ وُضُوحِ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ، كَما قالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعام:١]، وَقالَ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعام:٢])6(.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٣٩)، تفسير الجلالين (ص١٦٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٥٢)، تفسير النسفي (١/٤٩٠).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب السور(٧/١٠)، فتح القدير (٢/١١٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٧/١٢٩).

(٥) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٣٠٩)، تفسير السعدي (ص٢٥٠).

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٠٧).

***

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:٣].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [سُورَة الزُّخْرُف:٨٤] أَي: هُوَ اللَّهُ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ فِي السَّمَاءِ وَفِي الأَرْضِ)[1].

﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ أَي: مَا تُسِرُّونَهُ وَمَا تَجْهَرُونَ بِهِ)[2]، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سُورَة الْمُلْك:١٣].

﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ أَي: يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا تَعْمَلُونَهُ مِن خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَيُثِيبُ عَلَيْهِ وَيُعَاقِبُ)[3].

***

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤﴾ [سورة الأنعام:٤].

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ أيْ: مَا يَظْهَرُ لِهَؤلاءِ الْكُفَّارِ دَلِيلٌ مِنَ الأدِلَّةِ أوْ مُعْجِزَةٌ مِنَ الْمُعْجِزاتِ كَانْشِقاقِ الْقَمَرِ أوْ آيَةٌ مِنْ آياتِ القُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَانْفِرادِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ)[4].

﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ فَلَا يَتَأَمَّلُونَ فِيهَا، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهَا، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا)[5].

**وَالْآيَةُ فِيهَا** أَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَرْكِ التَّأَمُّلِ فِيهَا وَعَدَمِ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهَا[٦].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١٢٧/٣)، تفسير النسفي (٤٩٠/١)، تفسير السعدي (ص٢٥٠)، أضواء البيان (٤٧٠/١).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣٥٢/٢)، تفسير الجلالين (ص١٦٢).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٠/٣)، تفسير البيضاوي (١٥٤/٢).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٤/٢)، تفسير القاسمي (٣١٦/٤)، التحرير والتنوير (٣٠/٢٣).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (٤٨٣/١٢)، تفسير ابن كثير (٥٨٠/٦).

(٦) ينظر: أيسر التفاسير (٣٧/٢).

***

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:٥].

وَهَؤلاءِ الْكُفَّارُ وَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَالْأَدِلَّةِ السَّاطِعَاتِ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أيْ: كَذَبُوا بأعْظَمَ مَن ذَلِكَ وَأَكْبَرَ، وَهْو القُرْآنُ الَّذِي جَاءَ بِه نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتحدَّاهُمْ بِهِ، وَعَجَزُوا أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ)1(.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)2(، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة ص:٨٨].

***

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:٦].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يَعْنِي: المُكَذِّبِينَ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: مِنْ أُمَّةٍ مُكَذِّبَةٍ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ)3( ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ أَي: أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَالتَّمْكِينِ مَا لَمْ نُعْطِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ)4(.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ المَطَرَ ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ كَثِيرًا، وَهْو حالٌ مِنَ السَماءِ)5(.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ مِنْ تَحْتِ أشْجارِهِمْ وَقُصُورِهِمْ)6(.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١٢٨/٣)، تفسير النسفي (٤٩١/١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٠/٣)، تفسير السعدي (ص٢٥٠).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٢٨/٣)، تفسير القاسمي (٣١٦/٤).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٤/٢)، تفسير النسفي (٤٩١/١).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (٤٩١/١).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٣٩٢/٦).

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: (بِذُنُوبِهِمْ) لِلسَّبَبِيَّةِ، أَيْ: أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ[1]، فَمَعَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّمْكِينِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ وَالنَّعِيمِ لَمْ يُغْنِهِمْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا.

﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ بَدَلًا مِنهُمْ[2]، كَمَا هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُكَذِّبِينَ، وَسُنَنُ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سُورَة فَاطِر:٤٣].

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** مَا وَقَعَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:٦].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِي سَبَبٌ لِزَوَالِ النِّعَمِ بِمُخْتَلَفِ أَنْوَاعِهَا، وَسَبَبٌ لِحُلُولِ النِّقَمِ وَالْمِحَنِ، وَسَبَبٌ لِخَرَابِ الْبِلَادِ وَهَلَاكِ الْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [سُورَة النَّحْل:١١٢]، فَكَمْ هِيَ آثَارُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي عِنْدَ انْتِشَارِهَا فِي الْأُمَّةِ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي نَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَاخْتِلَالِ الْأَمْنِ وَفُقْدَانِ الْعَافِيَةِ[3].

**وَمِنْهَا:** عَدَالَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِعُقُوبَةِ الْمُكَذِّبِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾ [سُورَة هُود:١٠١][4].

**وَمِنْهَا:** وُجُوبُ الِاعْتِبَارِ وَالِاتِّعَاظِ بِمَا حَلَّ بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلِهَذَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا أَخْبَارَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ عَاقِبَتُهُمْ، وَأَبْقَى آثَارَهُمْ وَدِيَارَهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَمَوْعِظَةً. وَكَذَلِكَ مَسَخَ مَنْ مَسَخَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ لِمُخَالَفَتِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَسَفَ بِهِ؛ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَغْرَقَهُ فِي

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٣٩٢)، تفسير أبي السعود (٣/١١١).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٤)، تفسير القاسمي (٤/٣١٧).

(٣) ينظر: الجواب الكافي (ص٧٤)، الدرر السنية (١٤/٢٧٠).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٧٨).

الْيَمِّ؛ وأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّيْحَةَ، وأَخَذَهُ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وإِنَّمَا ذَلِكَ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ لِلرُّسُلِ، وإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا جَاءُوا بِهِ، واتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ. وهَذِهِ سُنَّتُهُ سُبْحَانَهُ فِيمَنْ خَالَفَ رُسُلَهُ، وأَعْرَضَ عَمَّا جَاؤُوا بِهِ، واتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ؛ ولِهَذَا أَبْقَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ آثَارَ الْمُكَذِّبِينَ لِنَعْتَبِرَ بِهَا ونَتَّعِظَ؛ لِئَلَّا نَفْعَلَ كَمَا فَعَلُوا فَيُصِيبُنَا مَا أَصَابَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾ [سُورَة الْعَنْكَبُوت:٣٤-٣٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٧٢﴾ [سورة الشعراء:١٧٢]، ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾ [سُورَة الصَّافَّات:١٣٧]، ﴿وَبِٱلَّيۡلِۗ﴾ أَيْ: تَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ نَهَارًا بِالصَّبَاحِ وبِاللَّيْلِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [سُورَة الصَّافَّات:١٣٨]، وقَالَ تَعَالَى فِي مَدَائِنِ قَوْمِ لُوطٍ: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ٧٦﴾ [سورة الحجر:٧٤-٧٦]، يَعْنِي: مَدَائِنَهُمْ بِطَرِيقٍ مُقِيمٍ يَرَاهَا الْمَارُّ بِهَا. وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ٩﴾ [سورة الروم:٩]. وهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: يُخْبِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ إِهْلَاكِ الْمُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ ونَجَاةِ أَتْبَاعِ الْمُرْسَلِينَ؛ ولِهَذَا يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ قِصَّةَ مُوسَى وإِبْرَاهِيمَ ونُوحٍ وعَادٍ وثَمُودَ ولُوطٍ وشُعَيْبٍ، ويَذْكُرُ لِكُلِّ نَبِيٍّ إِهْلَاكَهُ لِمُكَذِّبِيهِمْ والنَّجَاةَ لَهُمْ ولِأَتْبَاعِهِمْ، ثُمَّ يَخْتِمُ الْقِصَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾ [سورة الشعراء:٨-٩]، فَخَتَمَ الْقِصَّةَ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَقْتَضِيهَا تِلْكَ الصِّفَةُ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فَانْتَقَمَ مِنْ أَعْدَائِهِ بِعِزَّتِهِ، وأَنْجَى رُسُلَهُ وأَتْبَاعَهُمْ بِرَحْمَتِهِ"[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٩٧-٩٨).

***

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام:٧].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَبًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ كِتَابًا مَكْتُوبًا فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ إِجَابَةً لِمَا اقْتَرَحُوهُ، كَما قَالَ تَعالَى عَنْهُمْ: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [سُورَة الْإِسْرَاء:٩٣] الآيَة )1(.

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: فَشَاهَدُوا ذَلِكَ الكِتابَ المُنَزَّلَ ورَأَوْه ولَمَسَتْهُ أيْدِيهِمْ، لَعانَدُوا واسْتَكْبَرُوا ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾ مَا ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾)2(.

وَفِي **مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ** قَد وَرَدَتْ آياتٌ أُخْرَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [سُورَة يُونُس:٩٦-٩٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة يونس:١٠١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١١١-١١٤].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٢٦٩)، أضواء البيان (١/٤٧١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٣٩٣)، أضواء البيان (١/٤٧١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجر:١٤-١٥](1).

**وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَغَيْرُهَا** فِيهَا تَسْلِيَةٌ لِقَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَخْفِيفٌ عَنْهُمْ إِذَا مَا قُوبِلُوا بِمِثْلِ هَذَا التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ.

***

## ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:٨].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ﴾ هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ﴿مَلَكٌ﴾ نَرَاهُ ويُكَلِّمُنا أَنَّهُ نَبِيٌّ حَتَّى نُؤْمِنَ بِهِ ونَتَّبِعَهُ؟ كَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [سُورَة الْفُرْقَان:٧](2).

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقْتَرَحُوا ولَمْ يُؤْمِنُوا ويُصَدِّقُوهُ ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ بِهَلاكِهِمْ ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ يُمْهَلُونَ لِتَوْبَةٍ أَوْ مَعْذِرَةٍ كَما جَرَتْ واسْتَمَرَّتْ بِهِ سُنَّتُهُ تَعالَى مَعَ الكُفَّارِ فِي آياتِ الِاقْتِراحِ، إِذا جاءَتْهُمْ ولَمْ يُؤْمِنُوا بِها(3).

***

## ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:٩].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ أيْ: الرَّسُولَ المُنَزَّلَ إِلَيْهِمْ ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ﴾ أيْ: المَلَكَ ﴿رَجُلًا﴾ أيْ: عَلى هَيْئَةِ رَجُلٍ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ رُؤْيَتِهِ إِذْ لَا قُوَّةَ لِلْبَشَرِ عَلى رُؤْيَةِ المَلَكِ(4)، وَلِذَلِكَ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٤٧٢/١).

(٢) ينظر: فتح القدير (١١٦/٢).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٥/٢)، تفسير الجلالين (ص١٦٣).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤١/٣).

تَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ فِي صُورَةِ الْإِنْسِ، كَمَا جَاء جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةِ الْكَلْبِيِّ )1(.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي: لَوْ أنْزَلْناهُ وجَعَلْناهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ لَاشْتَبَهَ الأَمْرُ عَلَيْهِم، كَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِم أَمْرُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ )2(.

"وَهَذِهِ الْآيَةُ الكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلى أَنَّ الرَّسُولَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ نَوْعِ المُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، كَمَا أَشَارَ تَعالَى إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [سُورَة الْإِسْرَاء:٩٥]"(3).

***

## ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سُورَة الأنعام:٩].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ سُخر ﴿بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ نَزَلَ وَحَلَّ(4) ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَهُوَ العَذابُ الَّذِي يُنْكِرُون وُقُوعَهُ(5).

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا يَلْقاهُ مِنْ قَوْمِهِ، ووَعْدٌ لَهُ ولِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ بِالنَّصْرِ والعاقِبَةِ الحَسَنَةِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ(٦).

**وَمِنْهَا:** عَاقِبَةُ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالرُّسُلِ عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْهَلَاكُ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ(٧).

***

(١) كما في حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: "أَنْبَئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قال فقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللَّهِ! مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ عن جِبْرِيلَ" أخرجه البخاري برقم (٣٦٣٤)، ومسلم برقم (٢٤٥١).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٤٩٢/١).

(٣) أضواء البيان (٤٧٢/١).

(٤) ينظر: تفسير القاسمي (٣٢٠/٤).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٣٤٤/٥).

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (١١٤/٣)، تفسير القاسمي (٣٢٠/٤).

(٧) ينظر: تفسير ابن عطية (٢١٤/٢).

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهؤلاءِ الْمُكَذِّبِينَ وَالْمُسْتَهزِئِينَ)1(: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ فَاعْتَبِرُوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسُلَ مِنْ هَلاكِهِمْ فِي الدُّنْيَا مَع مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ)2(.

**وَالْآيَةُ فِيهَا** الأَمْرُ بِالسَّيْرِ فِي الأَرْضِ وَالنَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ فِي عَاقِبَةِ الْمُكَذِّبِينَ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَأَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَلَا يَغْتَرَّ بِمَا هُمْ فِيهِ مِن النَّعِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾[سورة آل عِمْرَان:١٩٦-١٩٧](٣).

***

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢].

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقًا ومُلْكًا وَتَدْبِيرًا )4(.

﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تَقْرِيرٌ لَهُمْ، أيْ: هُو لِلَّهِ، لَا خِلافَ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ)5(، واللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّؤالِ أَوَّلًا ثُمَّ بِالْجَوابِ ثانِيًا؛ لِتَعَيُّنِ هَذَا الْجَوابِ اتِّفَاقًا)6(.

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ أَوْجَبَ على نَفْسِهِ ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ تَفَضُّلًا مِنهُ وَكَرَمًا عَلَى عِبَادِهِ )7(.

)7(.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٧/١٤٩).

(٤) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٣٢١)، تفسير السعدي (ص٢٥١).

(٥) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٨).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٥)، تفسير أبي السعود (٣/١١٥).

(٧) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٣٩٥)، تفسير البيضاوي (٢/١٥٥).

وَقَد أَخْرَج الشَّيْخَان عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كتابٍ، فَهو عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(1). وفي البُخاريِّ: «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ، فَهو العَرْشُ»(2).

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لِيُجازِيَكُمْ بِأَعْمالِكُمْ(3)، فَيُجازِي الَّذِينَ ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سُورَة النَّجْم:٣١].

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ شَكَّ ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بِكُفْرِهِم بِاللَّهِ تَعَالَى(4) ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

***

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٣].

﴿وَلَهُۥ﴾ تَعَالَى ﴿مَا سَكَنَ﴾ أي: هَدَأَ وَاسْتَقَرَّ، والْمُرَادُ مَا سَكَنَ وَمَا تَحَرَّكَ، واكْتَفى بِأحَدِ الضِدَّيْنِ عَنِ الآخَرِ لِلْعِلْمِ بِه كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [سُورَة النَّحْل:٨١] أي: الحَرُّ والبَرْدُ(5) ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾ أيْ: كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ وَمَالِكُهُ(6).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقْوالِ عِبادِهِ(7) ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعالِهِمْ.

***

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٤].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٠٤)، صحيح مسلم برقم (٢٧٥١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٥٥٤).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٤).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (٤٩٣/١).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (١٣١/٣)، تفسير القاسمي (٣٢٤/٤).

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٣٢/٢).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٣/٣).

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ نَاصِرًا وَمَعْبُودًا)[1] ﴿فَاطِرِ﴾ مُبْدِعِ وَخَالِقِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ)[2] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يَرْزُقُ خَلْقَهُ)[3] ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ يُرْزَقُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [سُورَة الذَّارِيَات:٥٧])[4].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أَي: اسْتَسْلَمَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي أُرْسِلْتُ إِلَيْهَا)[5].

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وَقَدِ امْتَثَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

***

## ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الْأَنْعَام:١٥]

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بِالْإِشْرَاكِ بِهِ وَعَدَمِ الِاسْتِسْلَامِ لَهُ)[6] ﴿عَذَابَ يَوْمٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)[7].

***

## ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٦].

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ أَيْ: الْعَذَابُ)[1] ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سُورَة آل عِمْرَان:١٨٥]، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ)[2].

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (١/٤٩٤).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٧٦).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٢)، تفسير القرطبي (٦/٣٩٧)، تفسير ابن كثير (٣/٢٤٣).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٢٧٣)، تفسير القرطبي (٦/٣٩٧).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٤).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٢).

***

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٧].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ يُصِبْكَ[3] ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بَلاءٍ كَمَرَضٍ وفَقْرٍ[4] ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥ﴾ رَافِعَ[5] ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ بِنِعْمَةٍ كَصِحَّةٍ وَغِنًى[6] ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَي: قَادِرٌ، لَا يُعجِزُهُ شيءٌ، وَلَا يَمتنِعُ مِنْه[7].

**وَالْآيَةُ فِيهَا** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا قَدَّرَ لِلْعَبْدِ الضَّرَّاءَ، وَاجْتَمَعَ كُلُّ الْخَلْقِ عَلَى أَنْ يَكْشِفُوا عَنْهُ الضُّرَّ فَلَنْ يُفْلِحُوا، وَلَا كَاشِفَ لَضُرِّهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ. وَإِنْ يُرِدْهُ سُبْحَانَهُ بِنِعْمَةٍ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى أَنْ يَسْلُبُوهَا فَلَنْ يَحْصُلَ وَلَو أَنْفَقُوا كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ، فَلَا لَا مُعْطِيَ لِلنِّعَمِ، وَلَا كَاشِفَ للضُّرِّ إِلَّا هُوَ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخْلَعَ عَنْ قَلْبِهِ النَّظَرَ إِلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ مَعَ اللَّهِ، وَيَتَعَلَّقَ بِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ[8].

وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ [يُونُس:١٠٧]. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فَاطِر:٢]. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهْو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[9] كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٦/٢)، تفسير ابن كثير (٢٤٤/٣).

(٢) ينظر: تفسير القاسمي (٣٢٦/٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٢٧٤/٢).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٣٩٨/٦)، تفسير الجلالين (ص٢٨٣).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (١٣٢/٣).

(٦) ينظر: تفسير الزمخشري (١٠/٢)، تفسير البيضاوي (١٥٦/٢).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (١٨٠/٩).

(٨) ينظر: تفسير السعدي (ص٣٧٥).

(٩) صحيح البخاري برقم (٨٤٤)، صحيح مسلم برقم (٥٩٣).

***

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٨].

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ الْغَالِبُ)1(.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَيْ: هُوَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وذَلَّتْ لَهُ الْجَبَابِرَةُ، وعَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، ودَانَتْ لَهُ الْخَلَائِقُ، وتَوَاضَعَتْ لِعَظَمَةِ جَلَالِهِ وكِبْرِيَائِهِ وعَظَمَتِهِ وعُلُوِّهِ وقُدْرَتِهِ الْأَشْيَاءُ، واسْتَكَانَتْ وتَضَاءَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وتَحْتَ حُكْمِهِ وقَهْرِهِ")2(.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أَيْ: فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بِمَوَاضِعِ الْأَشْيَاءِ ومَحَالِّهَا، فَلَا يُعْطِي إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّ ولا يَمْنَعُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ)3(.

***

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٩].

﴿قُلۡ﴾ لَهؤلاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ وَرِسَالَتِكَ)4(: ﴿أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ أَعْظَمُ وأقوى شَهَادَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِي وَرِسَالَتِي)5(.

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ على صِدْقِي)6(، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [سُورَة النِّسَاء:٧٩]، وَقَال تَعَالَى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [سُورَة النِّسَاء:١٦٦]، وَقَال تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سُورَة الرَّعْد:٤٣].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٤٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٨١).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٥)، تفسير السعدي (ص٢٥٢).

(٦) ينظر: تفسير الماوردي (٢/١٠٠).

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ لِأُخَوِّفَكُمْ بِه عِقَابَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ)1( ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أيْ: وَأَنْذِرْ مَنْ بَلَغَهُ القُرْآنُ مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ، فَكُلُّ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَهُو مُنْذَرٌ بِهِ)2(.

﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ﴾ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ)3(.

﴿قُل﴾ لَهُمْ: ﴿لَّآ أَشۡهَدُ﴾ بِمَا تَشْهَدُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ ١٥٠﴾[سُورَة الْأَنْعَام:١٥٠])4(، وكَرَّرَ ﴿قُل﴾ تَوْكِيدًا)5(.

﴿قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ بِهِ.

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** وُجُوبُ التَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٩]، وَهَذَا الدَّلِيلُ يَدُلُّ أَقْوَى دَلَالَةٍ عَلَى إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ بِأَعْظَمِ طُرُقِ الْبَيَانِ وَأَبْلَغِ وُجُوهِ التَّأْكِيدِ(٦)؛ لِأَنَّ ﴿إِنَّمَا﴾ تُفِيدُ الْحَصْرَ، كَمَا أَنَّ كَلِمَةَ ﴿وَٰحِدٞ﴾ صَرِيحَةٌ فِي نَفْيِ الشُّرَكَاءِ، ثُمَّ صَرَّحَ بِالْبَرَاءَةِ عَنْ إِثْبَاتِ الشُّرَكَاءِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٩] عَقِبَ التَّصْرِيحِ بِالتَّوْحِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [سُورَة الْأَنْعَام:١٩](٧).

**وَمِنْهَا:** إِثْبَاتُ صِدْقِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٣).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٧).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط (٢/٢٥٩)، تفسير النسفي (١/٤٩٥).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٠٠)، تفسير ابن كثير (٣/٢٤٥).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (١/٤٩٥).

(٦) ينظر: تفسير الرازي (١٢/٤٩٩).

(٧) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٣٣١).

***

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾ اليهود والنصارى)1( ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ)2( ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أيْ: مُحَمَّدًا ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ بِحَيْثُ لَا يَشُكُّونَ فِي رِسَالَتِهِ)3(.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ الجَاحِدِينَ لِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ)4( ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بِرِسَالَتِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

***

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٢١].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ أي: لَا أَحَدَ أَعْظَمُ ظُلْمًا وَلَا أَكْبَرُ جُرْمًا)5( ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اخْتَلَقَ على اللهِ قولًا أَوْ حُكْمًا وَهُوَ تَعَالَى بَرِيءٌ مِنْهُ)6(.

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ القُرْآنِ)7( ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وَ**الآيةُ فِيهَا** أَنَّ الْقَائِلِينَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَالْمُفْتَرِينَ عَلَيهِ الْبَاطِلَ لَا يَظْفَرُونَ بِمَطَالِبِهِمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، بَلْ يَبْقَوْنَ فِي الحِرْمَانِ وَالخِذْلَانِ(٨).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٠٠)، تفسير النسفي (١/٤٩٦).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٤)، تفسير النسفي (١/٤٩٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٢).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/١٢)، تفسير النسفي (١/٤٩٦).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٤).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٥)، تفسير السعدي (ص٢٦٤).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٥)، تفسير القرطبي (٦/٤٠١).

(٨) ينظر: تفسير الرازي (١٢/٥٠١).

***

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٢].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: ويَومَ نَحْشُرُ هَؤلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يومَ الْقِيامَةِ)1(.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ باللهِ: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ آلِهَتُكُمُ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا شُرَكاءَ اللهِ لِينْفَعُوكُمْ)2( ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أيْ: تَزْعُمُونَهُمْ شُرَكَاءَ)3(، فَحُذِفَ المَفْعُولَانِ للعِلْمِ بِهِمَا)4(.

وَهَذِهِ الآيةُ كَقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة القصص ٧٤])5(.

***

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٣].

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ أيْ: مَعْذِرَتُهُمْ وحُجَّتُهُمْ)6( ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ كَذِبًا ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. وأَخرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بَنِ جُبَيرٍ قَالَ: «أتى رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقالَ: سَمِعْتُ اللهَ تَعالى يَقُولُ: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:٢٣]؛ وفي أُخْرى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء:٤٢]؛ فَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَمَّا رَأوا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ؛ قالُوا: تَعَالَوْا فَلْنَجْحَدْ؛ وَقَالُوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:٢٣]؛ فَخَتَمَ اللهُ تَعالَى عَلى أفْواهِهِمْ؛ وتَكَلَّمَتْ جَوارِحُهُمْ؛ فَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا»)7()8(.

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي (٤/٤٥٤)، تفسير ابن كثير (٣/٢٤٦).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٧).

(٣) ينظر: زاد المسير (٢/١٦).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٧)، فتح القدير (٢/١٢٢).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٦).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٧)، تفسير ابن كثير (٣/٢٤٦).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٤٢).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٦).

وَالآيةُ فِيهَا أَنَّ هَؤلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا انْقَطَعَ أَمَلُهُمْ وَرَجَاؤُهُمْ فِي شُرَكَائِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوم بَادَرُوا بِالإِنْكَارِ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ.

***

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٤].

﴿ٱنظُرْ﴾ يا مُحَمَّدُ)1( مُتَعَجِّبًا مِنْ كَذِبِهِمُ الصَّرِيحِ(٢) ﴿كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِنَفْيِ الشِّرْكِ عَنْهُمْ)3(.

﴿وَضَلَّ﴾ أي: زَالَ وَتَلَاشَى وَبَطُلَ)4( ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يَخْتَلِقُونَ عَلَى اللَّهِ مِنْ شُرَكَاءَ)5(، فَلَمْ يُقَدِّمُوا لَهُمْ أَيَّ نَفْعٍ، بَلْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ إِذَا جُمِعُوا يَومَ الْقِيامَةِ كَانُوا لَهُمْ أعداءً، أعداءً، وَيَتَبَرَّأُ الشُّرَكَاءُ مِمَّنْ دَعَاهُمْ، وَيُعَادُونَهُمْ أَشَدَّ الْعَدَاوَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦].

***

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٥].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ﴾ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ)6( ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ جَمْعُ كِنَانٍ وَهِيَ الْأَغْطِيَةُ)7( ﴿أَن يَفْقَهُوهُ ۖ﴾ لِئَلَا يَفْهَمُوا القُرْآنَ)8(.

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٤٩٧/١)، تفسير الجلالين (ص١٦٥).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (١٢٠/٣).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٨/٢).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٤٠٢/٦)، فتح القدير (١٢٣/٢).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٥).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٩٦/٩)، تفسير البيضاوي (١٥٨/٢)، تفسير النسفي (٤٩٧/١).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (١٣٦/٣)، تفسير القرطبي (٤٠٤/٦).

(٨) ينظر: تفسير البغوي (١٨٣/٥)، تفسير القرطبي (٤٠٤/٦)، تفسير ابن كثير (٨٢/٥).

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ أيْ: وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ صَمَمًا وثِقلًا)1(، فَلا يَسْمَعُونَهُ سَمَاعَ قَبُولٍ وَاسْتِجَابَةٍ)2(؛ لِأَنَّهُمْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، فَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [سورة الأنفال:٢٢-٢٣].

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ﴾ أيْ: مَهْمَا رَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ وَالدَّلَالَاتِ والْحُجَجِ الْبَيِّنَاتِ، لَا يُؤْمِنُوا بِهَا)3(؛ لِشِدَّةِ ظُلْمِهِمْ وَقُوَّةِ عِنَادِهِمْ)4(، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾ [سورة يونس:٩٦-٩٧])5(.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ يُخَاصِمُونَكَ)6(، يَقُولُونَ: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: مَا هَذَا القُرْآنُ)7( ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أَكَاذِيبُ سَطَّرَهَا الْأَوَّلُونَ فِي كُتُبِهِمْ، وَهَذَا غَايَةُ التَّكْذِيبِ وَنِهَايَةِ الْعِنَادِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ)8(.

**وَالآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ الْكُفَّارَ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ، لَكِنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَنْقَادُونَ إِلَى الْحَقِّ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَفْهَمُ)9(، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:١٧١].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ، فَيَشْرَحُ بَعْضَهَا لِلْهُدَى، وَيَجْعَلُ بَعْضَهَا فِي أَكِنَّةٍ فَلَا تَفْقَهُ كَلَامَ اللَّهِ وَلَا تُؤْمِنُ)1(، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٥/١٨٣).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٥).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٧).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٢/١٥٨)، فتح القدير (٢/١٢٣).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٤٧٥).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٩٩).

(٧) ينظر: تفسير النسفي (١/٤٩٨).

(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٨)، فتح القدير (٢/١٢٣).

(٩) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٠٤).

عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [سورة محمد:١٦].

***

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٢٦].

﴿وَهُمۡ﴾ أي: المُشْرِكُونَ[2] ﴿يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ النَّاسَ، وَيُحَذِّرُونَهُمْ عَنِ اتِّباعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ[3] وَالانقِيادِ لِلقُرْآنِ[4] ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ﴾ يَبْتَعِدُونَ[5] ﴿عَنۡهُۖ﴾ فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.

﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ﴾ أيْ: وَمَا يُهْلِكُونَ بِذَلِكَ[6] ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أَنَّ ضَرَرَهُ رَاجِعٌ عَلَيهِمْ[7].

وَ**الآيَةُ فِيهَا** أَنَّ أَعْدَاءَ الرُّسلِ وَالْأَنْبِياءِ وَالصَّالِحِينَ لَا يَكْفِيهِمْ أَنْ يُضِلُّوا أَنْفُسَهُمْ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُضِلُّوا غَيرَهُمْ، وَيُحَذِّرُونَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ مِنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٢٧].

***

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأنعام:٢٧].

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ حُذِفَ جَوابُهُ، أيْ: ولَوْ تَرَى أَيُّهَا الرَّسُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَومَ الْقِيامَةِ لَشاهَدْتَ أَمْرًا عَظِيمًا وَخَطْبًا جَسِيمًا[1] ﴿إِذۡ وُقِفُواْ﴾ عُرِضُوا[2] ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ وَالْعِيادُ بِاللهِ وَرَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ تِلْكَ الْأُمُورَ الْعِظَامَ وَالْأَهْوَالَ الْجِسَامَ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ دَاخِلُوهَا[3].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٦).

(٢) ينظر: فتح القدير (٢/١٢٤).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٠٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٧).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٨).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٥٨).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٥).

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُونَ تَحَسُّرًا: ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ إِلَى الدُّنْيا[4] ﴿وَنُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة:١٢].

وَ**الآيَةُ فِيهَا** شِدَّةُ تَحَسُّرِ الْمُشْرِكِينَ، وَنَدَمِهِمِ الشَّدِيدِ إِذَا عُرِضُوا عَلَى النَّارِ، وَشَاهَدُوا مَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ، وَمُحَالٌ أَنْ يُرَدُّوا.

***

## ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الأنعام:٢٨].

﴿بَلۡ﴾ لِلْإِضْرَابِ[5]، وَالْمُرَادُ بِالإِضْرَابِ إِبْطَالُ كَلَامِ الْمُشْرِكِينَ حِينَ قَالُوا: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أيْ: بَلْ سَيَعُودُونَ إِلَى التَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ وَلو رُدُّوا لَمْ يُؤمنُوا، وَلِهذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ [سورة الأنعام:٢٨].

﴿بَدَا لَهُم﴾ ظَهَرَ لَهُمْ[6] ﴿مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ﴾ أي: يُسِرُّونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ[7] ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[8].

﴿وَلَوۡ رُدُّواْ﴾ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ وُقُوفِهِمْ عَلَى النَّارِ[9] ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ مِنَ الكُفْرِ[11].

﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ فِيمَا وُعِدُوا بِهِ مِنَ الْإِيْمَانِ[1]؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَبَائِعِهِمْ وَلَا سَجَايَاهُمْ، بَلْ طَبِيعَتُهُمْ وَسَجِيَّتُهُمُ الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ وَالتَّكْذِيبُ[2].

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٤٩٨/١)، فتح القدير (١٢٥/٢).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (١٣٧/٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٤٨/٣).

(٤) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي (٢٦٢/٢)، تفسير البغوي (١٣٧/٣).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٤١٠/٦).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (٤٩٨/١).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (١٣٧/٣).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٨/٣).

(٩) ينظر: تفسير الزمخشري (١٦/٢)، تفسير النسفي (٤٩٩/١).

(١٠) ينظر: تفسير الماوردي (١٠٦/٢)، تفسير القرطبي (٤١١/٦).

**وَالآيةُ فِيهَا فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّهَا "تَدُلُّ عَلى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وعَلَا الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ ومَعْدُومٍ، يَعْلَمُ المَعْدُومَ الَّذِي سَبَقَ فِي الأَزَلِ أَنَّهُ لا يَكُونُ لَوْ وُجِدَ كَيْفَ يَكُونُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ رَدَّ الكُفَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ إِلى الدُّنْيا مَرَّةً أُخْرى لَا يَكُونُ، ويَعْلَمُ هَذَا الرَّدَّ الَّذِي لَا يَكُونُ لَوْ وقَعَ كَيْفَ يَكُونُ، كَما صَرَّحَ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الأنعام:٢٨]"[3].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ يومَ الْقِيامَةِ هُوَ مَحَلُّ ظُهُورِ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيهِ، فَيَظْهَرُ لِلمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يُخْفُونَهُ مِنْ قَبلُ.

***

## ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [سورة الأنعام:٢٩].

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أيْ: مُنْكِرُو البَعْثِ بَعدَ الْمَوتِ[4] ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لَيْسَ لَنَا غَيرُ هَذِهِ الْحَياةِ التِي نَحنُ فِيهَا لَا حَياةَ بَعدَهَا[5].

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ بَعْدَ الْمَوتِ لِلحِسَابِ[6]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٤].

***

## ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٠].

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ ولَوْ تَرى أَيُّهَا الرسُولُ هَؤلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يومَ الْقِيامَةِ ﴿إِذۡ وُقِفُواْ﴾ عُرِضُوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ لِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ تَعَالَى فِيهِمْ[7]، لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا[1].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٢) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص١٨٦).

(٣) أضواء البيان (٤٧٦/١).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٦٣/٢).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٦٣/٢)، تفسير النسفي (٤٦٨/٢)، تفسير ابن كثير (٢٤٩/٣).

(٦) ينظر: تفسير الخازن (١٠٧/٢)، فتح القدير (١٢٥/٢).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢١٣/٩)، تفسير البغوي (١٣٨/٣).

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ تَوْبِيخًا)2(: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ الْبَعْثُ والْحِسَابُ الذِي تُنْكِرُونَهُ فِي الدُّنْيَا)3( ﴿بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إِنَّهُ لَحَقٌّ)4(، فَيَحْلِفُونَ بِاللهِ تَعَالَى تَأْكِيدًا لِصِحَّةِ جَوَابِهِمْ)5(، فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بِهِ فِي الدُّنْيَا)6(.

***

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣١].

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ بِالبَعْثِ)7( ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غَايَةٌ لِلتَّكْذِيبِ لَا للخُسْرَانِ؛ لِأَنَّ خُسْرَانَهُمْ لَا غَايَةَ لَهُ)8( ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القِيامَةُ ﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً)9(.

﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ الْحَسْرَةُ هِيَ شِدَّةُ النَّدَمِ عَلَى مَا فَاتَ)10( ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ ضَيَّعْنَا وَقَصَّرْنَا)11( ﴿فِيهَا﴾ أَيْ: فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)12(، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٥٦])13(.

---

(١) ينظر: تفسير ابن جزي (٢٥٨/١)، البرهان في علوم القرآن (١٨٣/٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٧٦/٢١).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (١٣٨/٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (٤٩٩/١).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (٣١٩/٣)، تفسير أبي السعود (٩٠/٨).

(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٩/٢)، تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٨) ينظر: تفسير الزمخشري (١٦/٢)، فتح القدير (١٢٦/٢).

(٩) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(١٠) ينظر: تفسير البغوي (١٣٩/٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(١١) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٠).

(١٢) ينظر: تفسير النسفي (٥٠٠/١).

(١٣) ينظر: تفسير أبي السعود (١٢٥/٣).

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ ذُنُوبَهُمْ[1] ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ فَصَارُوا مُثْقَلِينَ بِهَا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ[2]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة العنكبوت:١٣].

﴿أَلَا سَاءَ﴾ بِئْسَ ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يَحْمِلُونَهُ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي[3].

***

## ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٢].

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الِاشْتِغَالُ بِهَا[4] ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[5] بَاطِلٌ وغُرُورٌ لَا بَقَاءَ لَهَا[6].

﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أيْ: الجَنَّةُ[7]، التِي هِيَ مَحَلُّ الْحَيَاةِ الْأُخْرَى[8] ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ﴾ يَتَّقُونَ﴾ عِقَابَهُ، بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ[9] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّهَا كَذَلِكَ[11]، فَيُؤْمِنُونَ.

**وَالآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ تَكْذِيبٌ لِلكُفَّارِ فِي قَولِهِمْ: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة الأنعام:٢٩]؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ خَيْرٌ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا سِوى أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ لَعِبٌ ولَهْوٌ[1].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤١٣)، فتح القدير (٢/١٢٧).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤١٣).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٥) قيل في التفريق بين اللعب واللهو أن: "اللعب ما قصد به تعجيل المسرة والاستراحة به. واللهو كل ما شغل من هوى وطرب، وإن وإن لم يقصد به ذلك". ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/٤٨)، تفسير القاسمي (٤/٣٤٥)، تاج العروس (٣٩/٤٩٧).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٩).

(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٠)، تفسير الجلالين (ص١٦٦).

(٨) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٢٦)، تفسير القاسمي (٤/١٢٧).

(٩) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢١٨).

(١٠) ينظر: تفسير الواحدي (ص٣٥٠).

***

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٣].

أَخْرَجَ التِّرْمذيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ، ولَكِنْ نُكَذِّبُ مَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٣](2).

﴿قَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ(3) ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ الْهَاءُ: ضَمِيرُ الشَّأْنِ(4) ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾ يُؤْلِمُكَ وَيُؤْسِفُكَ ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ بِأَنَّكَ كَاذِبٌ(5).

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ صِدْقَكَ، وَمَدْخَلَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَجَمِيعَ أَحْوَالِكَ(6).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القُرْآنِ(7) ﴿**يجحدون**﴾ يُكَذِّبُونَ.

وَهَذِهِ الآيةُ كَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل:١٤](٨).

**وَالآيةُ فِيهَا فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** ثُبوتُ بَشَرِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَلِذَا هُوَ يَحْزَنُ وَيَتَأَلَّمُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا الرُّسُولَ عَنْ بَشَرِيَّتِهِ الْكَرِيمَةِ، بِدَعْوَى الْحُبِّ وَالْمَدَحِ، وَيُرِيدُونَ رَفْعَهُ إِلَى مَنْزِلَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٠٠).

(٢) جامع الترمذي برقم (٣٦٤). وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/٢٢٣).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٠٠).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٠).

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٥٤).

(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥١).

(٨) ينظر: تفسير البغوي (3/141).

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة الكهف:١١٠]، وَلَمْ يَقُلْ: بَشَرًا -فَقطْ- حتَّى لَا يَدَّعِي أَحدٌ بِأَنَّهَا بَشَرِيَّةٌ خَاصَّةٌ مِنْ نَوعٍ خَاصٍّ، بَلْ قَالَ: ﴿مِّثْلُكُمْ﴾.

**ومِنْهَا:** تَسْلِيَةُ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَمَّا نَالَهُ مِنَ الْغَمِّ وَالْحُزْنِ بِتَكْذِيبِ الْكُفَّارِ لَهُ(١)، وَقَدْ نَهَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْغَمِّ وَالْحُزْنِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [سورة فاطر:٨]، وَقَالَ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء:٣]، وَقَالَ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [سورة الكهف:٦](2).

**وَمِنْهَا:** ذَمُّ الظَّالِمِينَ، وَأَنَّ دَأبَهُمْ جَحْدُ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ جَحَدَ آيَاتِ اللهِ فَهُوَ ظَالِمٌ.

***

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٣٤].

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ﴾ بِإِهْلَاكِ مَنْ كَذَّبَهُمْ(3)، فَتَأَسَّ بِهِمْ، وَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا(4)، فَلَكَ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، كَمَا قَالَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥].

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أيْ: وَلَا مُغَيِّرَ لِمَواعِيدِ اللهِ تَعَالَى(5)، وَحِكَمِهِ الَّتِي وَعَدَ فِيهَا رُسُلَهُ بِالنَّصرِ وَالتَّأْيِيدِ(6).

**وَنَظِيرُ هذِهِ الآيَةِ** قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات:١٧١]، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) ينظر: فتح القدير (١٢٧/٢).

(2) ينظر: تفسير ابن كثير (251/3).

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥١).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٦٠/٢).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (٥٠١/١).

(٦) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٦٦/٢).

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [سورة غافر:٥١][1]، وَكَلِمَاتُ اللهِ تَعَالَى تَشْمَلُ الْكَلِمَاتِ الْقَدَرِيَّةِ الْكُونِيَّةِ وَالكَلِمَاتِ الشَّرْعِيَّةِ[2].

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: خَبَرُهُمْ فِي القُرْآنِ كَيفَ أَنْجيناهُمْ وَدَمَّرْنا قَومَهُمْ[3]، مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ[4]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود:١٢٠].

**والآيةُ فِيهَا فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** "تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وتَعْزِيَةٌ لَهُ فِيمَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وأَمْرٌ لَهُ بِالصَّبْرِ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، ووَعْدٌ لَهُ بِالنَّصْرِ كَمَا نُصِرُوا، وبِالظَّفَرِ حَتَّى كَانَتْ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، بَعْدَ مَا نَالَهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ مِنْ قَوْمِهِمْ والْأَذَى الْبَلِيغِ، ثُمَّ جَاءَهُمُ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا لَهُمُ النَّصْرُ فِي الْآخِرَةِ، ولِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:٣٤] أَيِ: الَّتِي كَتَبَهَا بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الصافات:١٧١-١٧٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة المجادلة:٢١]"[5].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ تَكْذِيبَ الرُّسُلِ كَانَ دَأْبَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ﴾ [سورة المؤمنون:٤٤].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ لَا تَتغيَّرُ، وَسُنَنُهُ لَا تَتَبَدَّلُ[6]؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:٣٤]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة فاطر:٤٣]. وَاللهُ أَضافَهَا لِنَفْسِهِ، فَهِيَ قَدَرٌ سَابِقٌ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا كَانَ عَلَى

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٠)، تفسير النسفي (١/٥٠١)، تفسير ابن كثير (٣/٢٥٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/٣٢٢).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢/٢٦٦).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٢).

(٦) قال ابن القيم رحمه الله: "فسنته سبحانه عادته المعلومة". وقال الشوكاني: "والمراد بالسنن: ما سنّه الله في الأمم من وقائعه". ينظر: وقائعه". ينظر: شفاء العليل لابن القيم (ص١٩٩)، فتح القدير (١/٤٣٩).

ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [سورة الأحزاب:٣٨]، وَإِذَا اعْتَقَدَ الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ وَتَيَقَّنَهُ أَدَّاهُ ذَلِكَ إِلَى الثِّقَةِ بِوعدِ اللهِ تَعَالَى؛ فَاطْمَئِنَّ قَلْبُهُ، وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ، وَأَيْقَنَ بِالعِزَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالتَّمْكِينِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

***

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام:٣٥].

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظُمَ وشَقَّ[1] ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: إعراضُ هؤلاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الإِيْمَانِ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ مِنَ الآيَاتِ[2]؛ لِشَفَقَتِكَ عَلَيْهِمْ وَحِرْصِكَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ[3].

﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا﴾ مَنْفَذًا وَسَرَبًا[4] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتأْتِيهِمْ بِآيَةٍ مِنْهُ ﴿أَوْ ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾ أي: أَوْ تَبْتَغِي دَرَجًا تَرْتَقِي عَلَيهِ[5] ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ مِنْهَا فَافْعَلْ، وَهُوَ وَهُوَ جَوابُ ﴿ٱسْتَطَعْتَ﴾[6].

**والمَعْنى:** إِنْ قَدِرْتَ أَنْ تَطلُبَ لَهُمْ آيةً مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ فَافْعَلْ، وَلَنْ تَقدِرَ عَلَى شيءٍ مِنْ هَذَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة العنكبوت:٥٠]، فَدَعِ الْحُزْنَ عَلَيهِمْ، وَلَا تَضِقْ بِهِ صَدْرًا، واصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هِدَايَتَهُمْ ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بِأَنْ يُوَفِّقَهُمْ لِلْإِيْمَانِ فَيُؤْمِنُوا مَعَكُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ[1].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٠).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/١٦٠).

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٦٥٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (٣/١٢٩)، تفسير القاسمي (٤/٣٤٨).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٢٨).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٠١).

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٩٩](2).

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فيها إِثْبَاتُ الْمَشِيئَةِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيدِ اللهِ، وَلَا يَقَعُ إِلَّا مَا قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ، فَفِيهَا حُجَّةٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيءٍ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَالْقَدَرِيَّةُ يَقُولُونَ: بِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْلُقُ فِعْلَهُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْدِرُ عَلَى أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَلَمْ يُقَدِّرْهَا وَلَمْ يَخْلُقْهَا(٣).

***

## ﴿يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٦].

﴿يَسْتَجِيبُ﴾ لِدَعْوَتِكَ أَيُّها الرَّسُولُ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ قَبُولٍ(4)، وَتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ وَتَأَثُّرٍ وَانْقِيادٍ(5).

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكُفَّارُ(6)، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [سورة فاطر:٢٢](7)، فَالكُفَّارُ مَوتَى الْقُلُوبِ وَالْعِيادُ بِاللهِ، وَتَشْبِيهُهُمْ بِمَوتَى الْأَجْسَادِ مِنْ بَابِ التَّهَكُّمِ بِهِمْ وَالتَّحْقِيرِ مِنْ شَأْنِهِمْ(8).

﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ لِيُجَازِيهِمْ عَلَى مَا عَمِلُوا(9).

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (١٢٩/٣)، تفسير القاسمي (١٣١/٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣/٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن جزي (٢٦٠/١)، دفع إيهام الاضطراب (ص٢٧٠).

(٤) ينظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (ص٩٥).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٤١٨/٦)، تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (١٤١/٣)، تفسير القرطبي (٤١٨/٦).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٤٧٧/١).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣/٣)، تفسير القاسمي (٣٤٩/٤).

(٩) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٢)، تفسير البغوي (١٤١/٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٧).

وَالْآيَةُ فِيهَا أَنَّ الْمُسْتَجِيبَ وَالْمُنْقَادَ لِلإِسْلَامِ هُوَ الْحَيُّ حَقِيقَةً وَلَو كَانَ أَصَمَّ أَبكَمَ أَعْمَى، وَالْكَافِرُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَمُلَتْ كُلُّ حَوَاسِهِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٦].

***

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٧].

﴿وَقَالُواْ﴾ أيْ: كُفَّارُ مَكَّةَ تَعَنُّتًا وَمُكَابَرَةً[1]: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ أي: عَلَامَةٌ أَوْ مُعْجِزَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الإسراء:٩٠-٩٣][2].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ[3]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ مِمَّا اقْتَرَحُوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حِكْمَتَهُ تَعَالَى وَمَصْلَحَةَ عِبَادِهِ فِي الْامْتِنَاعِ مِنْ إِنْزَالِ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ أُنْزِلَتْ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا لَنَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ الْعَاجِلُ، كَمَا وَقَعَ بِقَوْمِ صَالِحٍ لَمَّا اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ إِخْرَاجَ نَاقَةٍ عُشَرَاءَ، وَبْرَاءَ، جَوْفَاءَ، مِن صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، فَأَخْرَجَهَا اللَّهُ لَهُمْ مِنْهَا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَعَقَرُوهَا ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [سورة الأعراف:٧٧]، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً بِعَذَابِ اسْتِئْصَالٍ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٣)، تفسير القاسمي (٤/٣٤٩)، تفسير السعدي (ص٢٥٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٣١).

الإسراء:٥٩]، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ آيَةً أَعْظَمَ مِنْ جَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي اقْتَرَحُوها وغَيْرِها، وتِلْكَ الآيَةُ هي هَذا القُرْآنُ العَظِيمُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة العنكبوت:٥١])1(، وَقَدْ تَحَدَّاهُمْ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَعَجَزُوا عَنْ مُعارَضَتِهِ، وذَلِكَ يَدُلُّ عَلى كَوْنِهِ مُعْجِزًا)2(.

***

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٨].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ تَمْشِي ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ فِي الْهَوَاءِ)3( ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي: جَمَاعَاتٌ مُمَاثِلَةٌ لِلنَّاسِ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهَا ورِزْقِهَا وأَحْوالِهَا)4(، ولِهَذَا قَالَ سُفْيانُ بْنُ عُيينةَ: «مَا فِي الْأَرْضِ آدَمِيٌّ إِلَّا وَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْبَهَائِمِ»)5(.

﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ تَرَكْنَا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ)6( ﴿مِن شَىْءٍ﴾ أيْ: جَلِيلٍ أوْ دَقِيقٍ فَلَمْ نَكْتُبْهُ)7(، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة هود:٦])8(.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: الْأُمَمُ كُلُّها، مِنَ الدَّوابِّ والطَّيْرِ، فَيَقْضِي بَيْنهمْ ويَقْتَصُّ لِلْجَمَّاءِ مِنَ القَرْنَاءِ)9(، كَمَا أَخرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لَكِنَّ اللَّهَ

(١) ينظر: أضواء البيان (٤٧٧/١).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٥٢٢/١٢).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٤) ينظر: فتح القدير (١٣٠/٢)، تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (٥٢٥/١٢)، البحر المحيط (٥٠٢/٤).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٤٢٠/٦)، تفسير النسفي (٥٠٢/١)، تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٧) ينظر: السراج المنير (٤١٩/١)، تفسير القاسمي (٣٥٠/٤)، تفسير الجلالين (ص١٦٧).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣/٣).

(٩) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٧).

يَدْرِي، وسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا»[1]، وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتؤدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[2].

وَ**الآيَةُ فِيهَا** "الدَّلالَةُ عَلى عِظَمِ قُدْرَتِهِ، ولُطْفِ عِلْمِهِ، وَسِعَةِ سُلْطانِهِ، وَتَدْبِيرِهِ تِلْكَ الخَلائِقَ المُتَفاوِتَةَ الْأَجْنَاسِ، المُتَكاثِرَةَ الْأَصْنافِ، وهو حافِظٌ لِما لَها وما عَلَيْها، مُهَيْمِنٌ عَلى أحْوالِها، لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وأنَّ المُكَلَّفِينَ لَيْسُوا بِمَخْصُوصِينَ بِذَلِكَ دُونَ مَن عَداهم مِن سائِرِ الحَيَوانِ"[3].

وقالَ بعضُ الْمُفَسِّرِينَ: "المَقْصُودُ أنَّ عِنايَةَ اللَّهِ حاصِلَةٌ لِهَذِهِ الحَيَواناتِ، فَلَوْ كانَ إظْهارُ آيَةٍ مُلْجِئَةٍ مَصْلَحَةً، لَأظْهَرَها، فَيَكُونُ كالدَّلِيلِ عَلى أنَّهُ تَعالَى قادِرٌ عَلى أنْ يُنَزِّلَ آيَةً"[4].

***

## ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الأنعام:٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القُرْآنِ ﴿صُمٌّ وَبُكۡمٞ﴾ أي: هُمْ بِمَنْزِلَةِ الأَصَمِّ الَّذِي لَا يَسْمَعُ، والأَبْكَمِ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لِعَدَمِ قَبُولِهِمُ الْقُرْآنَ[5]، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: ظلماتِ الكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالْحِيرَةِ لَا يُبْصِرُونَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ[6].

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ إِضْلَالَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿وَمَن يَشَأۡ﴾ هِدايَتَهُ[7] ﴿يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طَرِيقِ ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ دِينِ الْإِسْلَامِ[8].

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ مَثَلَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ فِي جَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَدَمِ فَهْمِهِمْ كَمَثَلِ الْأَصَمِّ الْأَبْكَمِ، وَهُوَ مع ذَلِكَ في ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُ، فَكَيفَ يَهْتَدِي مِثْلُ هَذَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى في وَصفِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ

---

(١) مسند أحمد برقم (٢١٤٣٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٢).

(٣) تفسير الزمخشري (٢/٢١).

(٤) تفسير القاسمي (٤/٣٥١).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٥).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٢٢)، تفسير النسفي (٢/١٣١)، فتح القدير (٢/١٣١).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٨) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٢).

ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة البقرة:١٧-١٨](١).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ المُتَصَرِّفُ في خَلْقِهِ بِما يَشاءُ، فَمَنْ أحَبَّ هِدايَتَهُ، وفَّقَهُ بِفَضْلِهِ وَإِحْسانِهِ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ شَاءَ ضَلَالَتَهُ تَرَكَهُ عَلَى كُفْرِهِ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور:٤٠](٢).

***

## ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة الأنعام:٤٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ أَخْبِرُونِي(3) ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ فِي الدُّنْيَا كَمَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: أَهْوَالُ يَوْمِ القِيامَةِ(4)، فَبُعِثْتُمْ لِلوقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أيْ: لَا تَدْعُونَ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْعَصِيبِ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى(5)، فَالْمُشْرِكُونَ إِذَا أَتَاهُمْ عَذابٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ أَتَتْهُمُ السَّاعَةُ أَخْلَصُوا الدُّعاءَ لِلَّهِ وحْدَهُ، وحْدَهُ، ونَسُوا مَا كانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ لا يَكْشِفُ الكُرُوبَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ جَلَّ وعَلا(6)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٥).

(٢) ينظر: تفسير الخازن (٢/١١١)، تفسير القاسمي (٤/٣٥٨).

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٣)، تفسير القرطبي (٦/٤٢٣).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٣)، تفسير ابن كثير (٣/٢٥٦).

(٦) ينظر: أضواء البيان (١/٤٧٧).

بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة يونس:٢٢-٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [سورة الإسراء:٦٧]، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]، وَقَالَ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة لقمان:٣٢](1).

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فِي أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى يُنْجِيكُمْ، وَلَكِنْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ عِنْدَ الْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ، فَصَارُوا كَاذِبِينَ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ تُنَجِّيهِمْ(2).

***

## ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤١].

﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ أي: تَخصُّونَهُ بِالدُّعَاءِ(3)، وَلَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الشَّدَائِدِ وَالْكُرُوبِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أيْ: ما تَدْعُونَهُ إلى كَشْفِهِ مِنَ الضُّرِّ ونَحْوِهِ(4) ﴿إِن شَآءَ﴾ أَنْ يَكْشِفَهُ عَنْكُمْ(5).

﴿وَتَنسَوۡنَ﴾ تَتْرُكُونَ(6) ﴿مَا تُشۡرِكُونَ﴾ مَعَهُ مِنَ الأَصْنامِ وَالْأَنْدَادِ وَغَيْرِهَا فَلَا تَدْعُونَهَا(7).

**وَالْآيَةُ فِيهَا** أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْمَدْعُوُّ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، الْمَرْجُوُّ عِنْدَ النَّوَازِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [سورة الإسراء:٦٧]، وقَالَ تَعَالَى:

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١٤٣/٣)، أضواء البيان (٤٠٧/٧).

(٢) ينظر: فتح القدير (١٣٢/٢).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (١٦١/٢).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٤٢٣/٦)، تفسير البيضاوي (١٦١/٢).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٨)، فتح القدير (١٣٢/٢).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٨)، تفسير القاسمي (٣٥٩/٤).

(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٣)، تفسير الخازن (١١٢/٢).

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [سورة النحل:٥٣]، وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [سورة النمل:٦٢](١).

***

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٢].

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ رُسُلًا فَكَذَّبُوهُمْ(2)، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ أي: ابْتَلَيْنَاهُمْ ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ أي: بِشِدَّةِ الفَقْرِ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المَرَضِ(3).

﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يَتَذَلَّلُونَ لِرَبِّهِمْ فَيُؤْمِنُونَ(4).

***

﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٣].

﴿فَلَوْلَا﴾ فَهَلَّا(5) ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ أي: هَذِهِ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ ﴿بَأْسُنَا﴾ عَذَابُنَا(6) ﴿تَضَرَّعُواْ﴾ أيْ: تَذَلَّلُوا(7)، وَخَضَعُوا، وَسَأَلُوا اللهَ تَعَالَى بِذُلٍّ وَخُشُوعٍ وَإِظْهَارٍ لِلْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ(8). وَالْمَسْكَنَةِ(8).

﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: غَلُظَتْ وتصلَّبَتْ(9)، فَلَمْ تَلِنْ لِلْإِيمَانِ(11).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/٢٠٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٤٢)، تفسير النسفي (١/٥٠٣).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٤٣).

(٦) ينظر: الوجيز للواحدي (١/٣٥٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (١/٣٥٣)

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٦).

(٩) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٢٥).

(١٠) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٨).

﴿وَزَيَّنَ﴾ أي: وحسَّن ﴿لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَصَدِّ النَّاسِ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى[1]، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة النحل:٦٣].

**وَالْآيَتَانِ فِيهِمَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْتَلِي عِبَادَهُ لِيَسْمَعَ شَكْوَاهُمْ وَتَضَرُّعَهُمْ وَدُعَاءَهُمْ، وَقَدْ ذَمَّ سُبْحَانَهُ مَنْ لَمْ يَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَكِنْ لَهُ وَقْتَ الْبَلَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٧٦][2].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْ دُعَائِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَخَاصَّةً عِنْدَ نُزُولِ الْمَصَائِبِ وَالْبَأْسَاءِ، وَحُدُوثِ الْفِتَنِ وَالضَّرَّاءِ، بَلْ وَصَفَهُمْ بِقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَاتِّبَاعِهِمْ غِوَايَةَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [سورة الأنعام:٤٢-٤٣].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ التَّضَرُّعَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَدُعَاءَهُ وَالتَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْمُنْجِيَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، وَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِينٍ، وَمَعَ الْفِتَنِ وَالْأَحْدَاثِ نَحنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَى أَنْ لَا نَنْسَى ذَلِكَ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ قَسْوَةً وَأَعْظَمِهِمْ غَفْلَةً الَّذِينَ لَا يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ، لَا فِي الرَّخَاءِ وَلَا فِي الشِّدَّةِ، وَلِهَذَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [سورة الأنعام:٤٣-٤٤]، وَاسْتَثْنَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْأُمَمِ قَوْمَ يُونُسَ، يَقُولُ اللهُ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٨/٣٩٨)، فتح القدير (٤/٢٣٤).

(٢) ينظر: التفسير القيم (١/٥٥٣).

تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة يونس:٩٨].

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ مِنَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ قَوْمَ يُونُسَ خَرَجُوا إِلَى الصُّعُدَاتِ، وَجَأَرُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وَخَرَجُوا بِأَطْفَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ.

**وَقِيلَ**: إِنَّهُمْ ظَلُّوا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَهُمْ يَسْتَغِيثُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ وَيَدْعُونَ، وَيَبْكُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ، فَكَشَفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُمْ الْعَذَابَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا(١)، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وَمِنْ سَعَةِ رَحْمَتِهِ.

***

## ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤].

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ تَرَكُوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعِظُوا وخُوِّفُوا(2) ﴿بِهِۦ﴾ مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ فَلَمْ يَتَّعِظُوا(3) ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: فَتَحْنَا عَلَيهِمْ أَبْوابًا مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّعَمِ كَالصِّحَّةِ والسِّعَةِ وَرَاحَةِ الْبَالِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ(4)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة القلم:٤٤-٤٥](5).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ فَرِحَ: بَطَرَ وَأَشِرَ، كَمَا فَرِحَ قَارُونُ لَمَّا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا(6) ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾ بِالعَذابِ ﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيِسُونَ مُنْقَطِعُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ(7).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٩٧).

(٢) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٤)، تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٤) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٣٦٠).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٥١٦).

(٦) ينظر: تفسير السمعاني (٢/١٠٤)، تفسير البغوي (٣/١٤٣).

(٧) ينظر: زاد المسير (٢/٢٩)، تفسير البغوي (٣/١٤٣)، تفسير ابن كثير (٣/٢٥٦).

وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أحْمَدُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيا عَلى مَعاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّما هُوَ اسْتِدْراجٌ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٤]»[1]، قَالَ الْحَسَنُ: مَكَرَ بِالْقَوْمِ وربِّ الْكَعْبَةِ، أُعْطُوا حاجَتَهُمْ ثُمَّ أُخِذُوا[2].

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "وقالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُتابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وأَنْتَ مُقِيمٌ عَلى مَعاصِيهِ فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْراجٌ مِنهُ يَسْتَدْرِجُكَ بِهِ، وقَدْ قالَ تَعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ [سورة الزخرف:٣٣-٣٥].

وَقَدْ رَدَّ سُبْحَانَهُ عَلى مَنْ يَظُنُّ هَذَا الظَّنَّ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ﴾ [سورة الفجر:١٥-١٧] أيْ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ نَعَّمْتُهُ ووَسَّعْتُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ أَكُونُ قَدْ أَكْرَمْتُهُ، ولَيْسَ كُلُّ مَنِ ابْتَلَيْتُهُ وضَيَّقْتُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ أَكُونُ قَدْ أَهَنْتُهُ، بَلْ أَبْتَلِي هَذا بِالنِّعَمِ، وأُكْرِمُ هَذا بِالِابْتِلاءِ"[3].

***

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٤٥].

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ بِأَنْ اسْتُؤْصِلُوا جَمِيعًا[4].

﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أيْ: عَلى هَلاكِهِمْ[5].

---

(١) مسند أحمد برقم (١٧٣١١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٦).

(٣) الجواب الكافي (ص٣٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٥٠)، تفسير الجلالين (ص١٦٨).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٧/٦٥)، تفسير القرطبي (٦/٤٢٧)، تفسير البيضاوي (٢/١٦٢).

قالَ الشَّوكَاني رَحِمَهُ اللهُ: "وفِيهِ تَعْلِيمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ يَحْمَدُونَهُ سُبْحانَهُ عِنْدَ نُزُولِ النِّعَمِ الَّتِي مِن أجَلِّها هَلاكُ الظَّلَمَةِ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ في الأرْضِ ولا يُصْلِحُونَ، فَإنَّهم أشَدُّ عَلى عِبادِ اللَّهِ مِن كُلِّ شَدِيدٍ، اللَّهُمَّ أرِحْ عِبادَكَ المُؤْمِنِينَ مِنْ ظُلْمِ الظّالِمِينَ، واقْطَعْ دابِرَهُمْ، وأبْدِلْهُمْ بِالعَدْلِ الشّامِلِ لَهُمْ"(1).

***

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخْبِرُونِي ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أَصَمَّكُمْ ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أعْماكُمْ(2) ﴿وَخَتَمَ﴾ طَبَعَ(3) ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فَلا تَفْقَهُونَ شَيْئًا(4).

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ﴾ بِذَلِكَ الْمَأْخُوذِ مِنْكُمْ(5).

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ أي: نُبَيِّنُ لَهُمْ وَنُنَوِّعُ(6) ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدَّلَالَاتِ وَالْحُجَجَ وَالبراهِينَ، فَنَجْعَلُهَا عَلَى وُجُوهٍ شَتَّى؛ لِيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا(7).

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يُعْرِضُونَ عَنْها فَلَا يُؤْمِنُونَ(8)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس:١٠١].

***

(١) فتح القدير(٢/١٣٣).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٢)، تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٥١)، تفسير القرطبي (٦/٤٢٧)، تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٤).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٣٤)، تفسير القاسمي (٤/٣٦٢).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٧/١١)، تفسير ابن كثير (٣/٥٧).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٥١)، تفسير ابن كثير (٣/٢٧٧)، فتح القدير (٢/١٤٤).

(٨) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٩).

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٧].

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ فَجأَةً مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَةٍ)1(، كَمَا لَو أَتَى الْعَذَابُ وَهُمْ نِيامٌ وَالْعِياذُ بِاللهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:٤]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٩٧].

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ ظَاهِرًا عِيانًا)2(، بَعدَ ظُهورِ مُقَدِّمَاتٍ وَأَمَارَاتٍ تَدُلُّ عَلَيهِ)3(.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الْاسْتِفْهَامُ فِي قَولِهِ: ﴿يُهْلَكُ﴾ بِمَعْنَى النَّفيِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ النَّفيِ الْمُجَرَّدِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ النَّفيَ وَالتَّحَدِّي)4(، وَالْمَعْنَى: مَا يُهْلَكُ إِلَّا الْقَومُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ، بِصَرْفِهِمُ الْعِبَادَةَ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا)5(.

***

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٨].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ آمَنَ بِالجَنَّةِ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَنْ كَفَرَ بِالنَّارِ.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بِهِمْ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلَهُ)6( ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا)7(.

وَالْآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١٤٤/٣)، فتح القدير (١٣٤/٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٨/٣).

(٣) ينظر: فتح القدير (١٣٤/٢).

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٥١٧/٤)، تفسير القاسمي (١٤٦/٤).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٥٤/٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٢٠٢٨/٣).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٧) ينظر: تفسير القرطبي (٣٢٩/١)، تفسير ابن كثير (٢٤٠/١).

**مِنْهَا:** أَنَّ مُهِمَّةَ الرُّسُلِ عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَبْشِيرُ النَّاسِ وَإِنْذَارُهُمْ، فَهُمْ فِي الدُّنْيا يُبَشِّرُونَ الطَّائِعِينَ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل:٩٧]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٣]، وَيَعِدُونَهُمْ بِالعِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَالْأَمْنِ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [سورة النور:٥٥]، وَيُخَوِّفُونَ الْعُصَاةَ بِالشَّقَاءِ الدُّنْيَوِيِّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [سورة طه:١٢٤]، وَيُحَذِّرُونَهُمُ الْعَذَابَ وَالْهَلَاكَ الدُّنْيَوِيَّ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [سورة فصلت:١٣]، وَفِي الْآخِرَةِ يُبَشِّرُونَ الطَّائِعِينَ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة النساء:١٣]، وَيُخَوِّفُونَ الْمُجْرِمِينَ وَالْعُصَاةَ عَذَابَ اللهِ فِي الآخِرَةِ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة النساء:١٤][1].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا حَقَّقَ الْإِيْمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ فَازَ بِزَوَالِ الْخُوفِ وَالْحُزْنِ عَنْهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٨].

***

## ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ﴾ أي: يَنَالُهُمْ[2] وَيُصِيبُهُمْ ﴿ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى[1].

---

(١) ينظر: التوحيد للناشئة والمبتدئين (ص٧٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٨/٣).

وَالْآيةُ **فيها** أَنَّ التَّكْذِيبَ بآياتِ اللهِ سَبَبٌ لِعَذَابِ اللهِ تَعَالَى.

***

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٥٠].

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَفَاتِيحَ رِزْقِهِ، فَأُعْطِيكُمْ مَا تُرِيدُونَ(2).

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ أي: وَلَا أَدَّعِي أَنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ(3)، فَأُخْبِرُكُمْ بِكُلِّ مَا تَسْأَلُونَ.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ مِنَ المَلائِكَةِ(4) ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ أي: مَا أَتَّبِعُ إِلَّا الَّذِي يُوحِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ(5)، لَسْتُ أَخْرُجُ عَنْهُ قَيْدَ شِبْرٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْهُ(6).

﴿قُلۡ هَلۡ﴾ الِاسْتِفْهامُ لِلْإِنْكارِ(7)، والمُرادُ أنَّهُ لَا ﴿يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ الكافِرُ ﴿وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ المُؤْمِنُ(8)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الملك:٢٢].

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي ذَلِكَ فَتُمَيِّزُوا بَيْنَ الكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ(9).

وَ**فِي الْآيَةِ** أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ "تَبَرَّأَ عَنْ دَعْوى الأُلوهِيَّةِ والمُلْكِيَّةِ، وادَّعى النُّبُوَّةَ الَّتِي هي مِن كَمالاتِ البَشَرِ رَدًّا لِاسْتِبْعادِهِمْ دَعْواهُ وجَزْمِهِمْ عَلى فَسادِ مُدَّعاهُ"(1).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٥١٠)، تفسير البيضاوي (٢/١٦٣)، تفسير النسفي (١/٥٠٥).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٤٥)، تفسير السعدي (ص٢٥٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٨)، تفسير أبي السعود (٣/١٣٦).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٣)، تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٣٥).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٨).

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٣٧)، فتح القدير (٢/١٣٥).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٥٦)، تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٣)، تفسير القاسمي (٤/١٤٨).

***

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٥١].

﴿وَأَنذِرْ﴾ الْإِنْذَارُ: الْإِعْلَامُ مَعَ تَخْوِيفٍ(2) ﴿بِهِ﴾ أيْ: القُرْآنُ(3) ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يَومَ الْقِيامَةِ(4).

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أيْ: لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴿وَلِيٌّ﴾ أيْ: نَاصِرٌ يَنْصُرُهُمْ(5) ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَشْفَعُ لَهُمْ(6)، وَيُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى(7).

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ اللَّهَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَواهِيهِ(8).

**والآيةُ فِيهَا** أَنَّ أَعظَمَ مَا يُخَوَّفُ وَيُنْذَرُ بِهِ النَّاسَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:٢]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٥]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق:٤٥].

**فَهَذِهِ الْآيَاتُ فِيهَا** أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُنْذِرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، وَيَدْعُوَهُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ يَهزُّ الْقُلُوبَ، وَيَجْعَلُهَا فِي خَوْفٍ

---

(١) تفسير البيضاوي (٢/١٦٣).

(٢) ينظر: تفسير القاسمي (١/٢٤٦).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٩).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٦٩).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٩).

(٨) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٥٧)، تفسير العثيمين –الفاتحة والبقرة (٢/٣٥٠).

مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ تُؤْمِنْ بكتابه، وَتَعْمَلْ بِمَا فِيهِ، وَلِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَعْظَمَ سِلَاحٍ يَسْتَعْمِلُهُ الدُّعاةُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي دَعْوَتِهِمْ لِلْخَلْقِ، وَالتَّأْثِيرِ فِيهِمْ(١).

***

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٢].

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةُ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ [سورة الأنعام:٥٢]»(٢).

وَرَوَى ابْنُ مَاجَه فِي السُّنَنِ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ صُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَخَبَّابٍ قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَرُوهُمْ، فَأَتَوهُ فَخَلَوا بِهِ، وَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضْلَنَا، فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَنَسْتَحِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا، قَالَ: فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ فَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة

(١) ينظر: الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم، خالد القريشي (ص٢٧٨) بحث في مجلة الإمام، العدد (٣١) سنة (١٤٢١هـ).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٤١٣).

الأنعام:٥٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ قَالَ: فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكَبَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ مَعَنَا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ [سورة الكهف:٢٨]، وَلَا تُجَالِسِ الْأَشْرَافَ: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾، يَعْنِي عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [سورة الكهف:٢٨]، هَلَاكًا. قَالَ: أَمْرُ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الرَّجُلَيْنِ وَمَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. قَالَ خَبَّابٌ: فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ)1(.

﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ﴾ وَلَا تُبْعِدْ عَنْ مَجَالِسِكَ ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَاءَهُمْ كَعَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ وَخَبَّابٍ وَسَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)2(، مُوَافَقَةً وَتَرْضِيَةً لِمَنْ طَلَبَ مِنْكَ ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ﴾ أَوَّلَ النَّهَارِ ﴿وَٱلۡعَشِيِّ﴾ آخِرِ النَّهَارِ)3( ﴿يُرِيدُونَ﴾ بِعِبَادَتِهِمْ)4( ﴿وَجۡهَهُۥۖ﴾ تَعَالَى، لَا شَيْئًا مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا)5(.

﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ إِنَّمَا حِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ [سورة الشعراء:١١٣])6(.

﴿وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ أي: حِسابُكَ عَلى نَفْسِكَ، ما عَلَيْهِمْ مِنهُ شَيْءٌ فَعَلامَ تَطْرُدُهم؟ هَذا عَلى فَرْضِ صِحَّةِ مَنْ طَعَنَ عِنْدَكَ في دِينِهِمْ وحَسَبِهِمْ، فَكَيْفَ وقَدْ زَكَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٤١٢٧).
وهذا الحديث فيه نظر؛ لأنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةُ إِنَّمَا أَسْلَمَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِدَهْرٍ كما قال الحافظ ابن كثير.
ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٠).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٣١).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٣٢).
(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٠).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٠).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٩).

وجَلَّ بِالعِبادَةِ والإخْلاصِ، وهَذا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤] وقَولِهِ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة النجم:٣٩]"[1].

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جَوابُ النَّفْيِ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[2]، أي: إنْ أَبْعَدْتَهُمْ فَإِنَّكَ ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، "وَقَدِ امْتَثَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الأَمْرَ أَشَدَّ امْتِثَالٍ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ الْفُقَرَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ صَبَّرَ نَفْسَهُ مَعَهُمْ، وَأَحْسَنَ مُعَاملتَهُمْ، وَأَلَانَ لَهُمْ جَانِبَهُ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ، وَقَرَّبَهُمْ مِنْهُ، بَلْ كَانُوا هُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ مَجْلِسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[3].

وَنَظِيرُ هَذِهِ الآيَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف:٢٨][4].

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** الْحَثُّ عَلَى مُجَالَسةِ الصَّالِحِينَ الْأَخْيَارِ، مع الْمُصَابَرَةِ، خَصُوصًا الضُّعَفَاءَ والْفُقَرَاءَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ، والْمُكْثُ مَعَهُمْ أَبْعَدُ عَنْ مَظَاهِرِ الدُّنْيَا وَفِتْنَتِهَا.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آيَةٍ أُخْرى أَنْ يَصْبِّرَ نَفْسَهُ مَعَهُمْ، وَأَنْ لَا تَعْدُوَ عَيْناهُ عَنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْجَاهِ وَالْمَنزِلَةِ فِي الدُّنْيا، وَنَهَاهُ عَنْ إِطَاعَةِ الكَفَرَةِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف:٢٨][5].

---

(١) ينظر: فتح القدير (١٣٦/٢).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (١٤٧/٣)، فتح القدير (١٣٦/٢).

(٣) قاله عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره (ص٢٥٧).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٩/٣).

(٥) ينظر: أضواء البيان (٤٧٨/١).

وَمِنْهَا: الْحَثُّ عَلَى الْإِخْلَاصِ للهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَهُ لَا رِياءً وَلَا سُمْعَةً، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان:٩].

وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ ذِكْرِ اللهِ، وَالدُّعَاءِ طَرَفَيِ النَّهَارِ، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ: "لِأَنَّ اللهَ مَدَحَهُمْ بِفِعْلِهِ، وَكُلُّ فِعْلٍ مَدَحَ اللهُ فَاعِلَهُ دَلَّ على أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ، وَإِذَا كَانَ يُحِبُّهُ، فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِهِ، وَيُرَغِّبُ فِيهِ"(1).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يُؤخَذُ أَحَدٌ بِذَنْبِ غَيْرِهِ مَهْمَا كَانَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٥٢]، وَقَدْ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْمَعْنَى فِي آياتٍ كَثِيرةٍ كَقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر:٣٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة:٢٨٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى(٢).

***

## ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ابْتَلَيْنا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَقَدَّمْنا ضُعَفاءَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَغْنِياءِ الْكَافِرِينَ بِالسَّبْقِ إِلَى الْإِيْمَانِ(3).

﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أَيْ: أَغْنِياءُ الْكَافِرِينَ مُنْكِرِينَ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: ضُعَفَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوفِيقِ(1)، أيْ: لَوْ كَانَ مَا هُمْ عَلَيْهِ هُدًى مَا سَبَقُونا إِلَيْهِ(2)، وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ قَوْلَهُمْ هُنا بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾(3).

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٧٥).

(٢) ينظر: فتح القدير (١٣٦/٢).

(٣) ينظر: تفسير البضاوي (١٦٤/٢)، تفسير الجلالين (ص١٧٠).

وقَدْ أوْضَحَ هَذَا الْمَعْنى فِي آياتٍ أُخرَ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [سورة القمر:٢٥]، وقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ﴾ [سورة الأحقاف:١١]، وقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [سورة مريم:٧٣].

***

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:٥٤].

﴿وَإِذَا جَآءَكَ﴾ أيُّها النَّبِيُّ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَهُمْ ضُعَفَاءُ الْمُسْلِمينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ كَمَا فِي الْآيةِ السَّابِقَةِ(٤).

﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ أَوْجَبَ ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ إِيْجَابَ فَضْلٍ وَكَرَمٍ وَإِحْسَانٍ)5(.

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ بِسَفَاهَةٍ)6(، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ)7(.

﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رَجَعَ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بَعْدَ ارْتِكَابِهِ لَهَا وَعَزْمِهِ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا)8( ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلَهُ)9( ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ أيْ: اللَّهَ ﴿غَفُورٌ﴾ لَهُ مَا ارْتَكَبَهُ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِ.

---

(١) ينظر: تفسير البضاوي (٢/١٦٤).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٠).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٠).

(٤) ينظر: تفسير الماوردي (٢/١١٩).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٣٧).

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٢٤).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٢).

(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٤)، تفسير أبي السعود (٣/١٤١).

(٩) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٢).

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** إِثْبَاتُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ للهِ تَعَالَى، وَهِيَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ تَعَالَى، وَصِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ يَوصِلُهَا إِلَى مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ)1(.

**وَمِنْهَا:** سَعَةُ رَحْمَةِ اللهِ، وَكَثْرَةُ فَضْلِهِ فِي حِلْمِهِ قَبْلَ انْتِقَامِهِ، وَعَفْوِهِ قَبْلَ عُقوبَتِهِ(٢)؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام:٥٤]، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَينِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»)3(، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»)4(؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ رَحْمَتَهُ تَعَالَى تُدْرِكُ عِبَادَهُ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ سَابِقٍ لَهُمْ، بَلْ تَفَضُّلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِحْسَانًا وَامْتِنَانًا.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ مَنْ عَمِلَ مَعَاصِيَ تُغْضِبُ اللَّهَ، ثُمَّ عَمِلَ بَعْدَهَا أَعْمَالًا يُحِبُّهَا اللَّهُ وَتَابَ مِنْهَا، فَإِنَّ اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيَرْحَمُهُ، وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ مَعَاصِيَ دُوْنَ الشِّرْكِ وَلَمْ يَتُبْ وَلَمْ يَعْمَلْ مَا يُكَفِّرُهَا، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٤٨](٥).

***

## ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَّا مَا ذُكِرَ ﴿نُفَصِّلُ﴾ نُبَيِّنُ ﴿ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ القُرْآنَ فِي صِفَةِ الْمُطِيعِينَ وَالْمُجْرِمِينَ(٦)؛ لِيَظْهَرَ وَيَتَّضِحَ طَرِيقُ الْمُطِيعِينَ للحَقِّ فَيُعْمَلُ بِهِ(٧).

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تَظْهَرَ ﴿سَبِيلُ﴾ طَرِيقُ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فَيُنْهَى عَنْهُ وَيُجْتَنَبُ)8(.

---

(١) ينظر: معارج القبول (٦٨/١).

(٢) يتنظر: الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (٧/٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٤٢٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣١٩٤)، ومسلم برقم (٢٧٥١).

(٥) ينظر: تفسير ابن جزي (٢٢٤/٢)، تفسير الخازن (٦١/٤).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (١٦٤/٢)، تفسير القاسمي (٣٧٧/٤).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (١٤٩/٣)، تفسير الخازن (١١٧/٢).

(٨) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٠).

***

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تَعْبُدُونَ[1] ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة غافر:٦٦].

﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ فِيمَا تَدْعُونَنِي إِلَيهِ مِنْ عِبَادَتِهَا[2] ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أَيْ: قَدْ قَدْ ضَلَلْتُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِنْ اتَّبَعْتُ أَهْوَاءَكُمْ[3] ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

وَ**الْآيَةُ فِيهَا** أَنَّ الذي يَتَّبِعُ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ يَضِلُّ الطَّرِيقَ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَيهِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ[٤].

***

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٧].

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ يَقِينٍ[5] ﴿مِّن رَّبِّي﴾ مِنْ مَعْرِفَةِ رَبِّي وَأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ لِي سِوَاهُ[6].

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي: وكَذَّبْتُمْ بِرَبِّي حَيْثُ أَشْرَكْتُمْ بِهِ غَيْرَهُ[7] ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ مِنَ العَذَابِ[8].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٢٩٨)، تفسير الجلالين (ص١٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٠).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٣٧).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٥٨٣).

(٥) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٦)، تفسير السعدي (ص٢٥٨).

(٦) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٣٠)، تفسير النسفي (١/٥٠٨).

(٧) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٣٠)، تفسير البيضاوي (٢/١٦٥)، تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٨) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٤٣٩)، تفسير ابن كثير (٣/٢٦٤).

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَرْجِعُ أَمْرُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ إِنْ شَاءَ عَجَّلَ لَكُمْ عَذَابَكُمْ، وإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ؛ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ)1(، وَقَدْ كَانَ كُفَّارُ قُرَيشٍ لِشِدَّةِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ يَطْلُبُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ عَلَيهِمْ كَمَا قَالُوا: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الأنفال:٣٢]، فأمَرَ اللَّهُ تَعالى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ: أَنَّ تَعْجِيلَ العَذابِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ لَيْسَ عِنْدَهُ، وإِنَّما يَرجِعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ.

﴿يَقُصُّ﴾ يَقُولُ ﴿ٱلۡحَقَّۖ﴾ وَيَحْكُمُ بِهِ ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ الْحَاكِمِينَ)2(.

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُبَيِّنَ لِلمُشْرِكِينَ أَنَّ مَا هُوَ عَلَيهِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ إِنَّمَا هُوَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٨]، لَا كَمَا هُمْ عَلَيهِ مِنَ اتِّبَاعِ الشُّبَهِ الدَّاحِضَةِ وَالشُّكُوكِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي لَا مُسْتَنَدَ لَهَا إِلَّا مُجَرَّدُ الْأَهْوِيَةِ الْبَاطِلَةِ)3(.

***

## ﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٨].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿لَّوۡ أَنَّ عِندِي﴾ أي: فِي قُدْرَتِي)4( ﴿مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ)5(.

﴿لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ﴾ أي: لَعَجَّلْتُهُ لَكُمْ)6(، فَانْتَهَى وَانْقَضَى مَا بَيْنَنَا)1(، ولَكِنَّهُ ولَكِنَّهُ عِنْد اللَّهِ)2(.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٤).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٣) ينظر: فتح القدير (٢/١٣٩).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٣٠)، تفسير الرازي (١٣/١٠).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٨١)، تفسير القرطبي (٦/٤٤٠).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٥٠).

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ متى يُعاقِبهُمْ)3(.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعالَى في آية أخرى أَنَّهُ لَوْلا أنَّ اللَّهَ حَدَّدَ لَهم أجَلًا لا يَأْتِيهِمُ العَذابُ قَبْلَهُ لَعَجَّلَهُ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ﴾ [سورة العنكبوت:٥٣] )4(.

وَ**الْآيَةُ فِيهَا** أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ بِيَدِهِ تَعْجِيلُ العَذابِ عَلَيْهِمْ لَعَجَّلَهُ عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَ الجِبالِ، وَقَالَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، وهُما جَبَلا مَكَّةَ اللَّذانِ يَكْتَنِفانِها، فَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»)5(.

وَالظَّاهِرُ فِي الجَوابِ: هُوَ مَا أَجَابَ بِهِ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ، وهُوَ: أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ دَلَّتْ عَلى أَنَّهُ لَوْ كانَ إِلَيْهِ وقُوعُ العَذابِ الَّذِي يَطْلُبُونَ تَعْجِيلَهُ فِي وقْتِ طَلَبِهِمْ، لَعَجَّلَهُ عَلَيْهِمْ، وأَمّا الحَدِيثُ فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهم طَلَبُوا تَعْجِيلَ العَذابِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، بَلْ عَرَضَ عَلَيْهِ المَلَكُ إِهْلاكَهم فاخْتارَ عَدَمَ إِهْلاكِهِمْ، ولا يَخْفى الفَرْقُ بَيْنَ المُتَعَنِّتِ الطَّالِبِ تَعْجِيلَ العَذابِ وبَيْنَ غَيْرِهِ)6(.

***

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الأنعام:٥٩].

﴿وَعِندَهُۥ﴾ تَعالَى ﴿مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ خَزائِنُ الغَيْبِ)7( ﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعالَى بِقَولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ

---

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٣٤).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٤) ينظر: أضواء البيان (١/٤٨٠).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٢٣١)، صحيح مسلم برقم (١٧٩٥).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٤)، أضواء البيان (١/٤٨١).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٨٢)، فتح القدير (٢/١٤١).

تَمُوتُۢ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان:٣٤]، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۢ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان:٣٤]»(1) أخرجه البخاري.

وفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ جِبْرِيلَ حِينَ تَبدَّى لَهُ فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ، فَسَأَلَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ لَهُ: خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [سورة لقمان:٣٤] الْآيَةَ» أخرجه البخاري(2) (3).

(3).

﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ أي: ويَعْلَمُ جَمِيعَ الذي ﴿فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ﴾، وَخَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُما مِن أَعْظَمِ مَخْلُوقاتِ اللَّهِ تَعَالَى(4)، ولِقَصْدِ الْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ مَا حَوَتْهُ هَذِهِ الْكُرَةُ(5)، فاللهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا فِي البَرَارِي وَالْقِفَارِ مِنَ الْحَيوانَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالرِّمَالِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ، وَمَا فِي الْبِحَارِ مِنْ حَيوَانَاتِهَا، وَمَعَادِنِهَا، وَصَيْدِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَحْتَوِيهِ أَرْجَاؤُهَا، وَيَشْتَمِلُ عَلَيهِ مَاؤُهَا(6).

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أيْ: مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَهُوَ تَخْصِيصٌ بَعْدَ التَّعْمِيمِ، أيْ: يَعْلَمُها ويَعْلَمُ زَمانَ سُقُوطِهَا وَمَكَانَهُ(7).

﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ تَسْقُطُ ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ كُلُّ ذَلِكَ ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وَهُوَ اللَّوْحُ المَحْفُوظُ، قَدْ حَواهَا وَاشْتَمَلَ عَلَيهَا(8)، فَإِنَّ اللهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ قَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَومِ الْقِيامَةِ، كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٤).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٧/٤).

(٥) ينظر: أضواء البيان (٧/٢٧٢).

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٥٩).

(٧) ينظر: فتح القدير (٢/١٤٠).

(٨) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧١)، تفسير السعدي (ص٢٥٩).

بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عُبادةِ بنِ الصَّامِتِ رضِيَ اللهُ عنه: سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ: «إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ»، وَهُوَ أداةُ الْكِتَابَةِ للمَقَادِيرِ الَّتِي يأمُرُهُ اللهُ بِها، «فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قال: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقادِيرَ كُلِّ شيءٍ حتَّى تَقومَ السَّاعَةُ»(1)، أَي: إِنَّ اللهَ أمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَقادِيرَ كُلِّ شَيءٍ فِي الْكَونِ بِالطَّرِيقَةِ وَالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي أمَرَهُ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ بِهَا مَا أَرَادَ اللهُ إِيْجَادَهُ إِلَى يَومِ الْقِيامَةِ، قَالَ عُبَادَةُ: «يا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا»، أي: عَلَى غَيْرِ الْإِيْمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالقَدَرِ، «فَلَيْسَ مِنِّي»(2)، أي: فَإِنَّهُ لَيْسَ مُؤمِنًا بِالْعَقِيدَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** سَعَةُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِحَاطَتُهُ بِكُلِّ شيءٍ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيءٍ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، كَمَا قَالَ جلَّ وَعُلَا: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [سورة النمل:٦٥]، وَقَالَ جلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٢٣١﴾ [سورة البقرة:٢٣١]، وَقَالَ: ﴿لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [سورة الطلاق:١٢]، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيءٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، وَمَا هُوَ مَوْجُودٌ، وَمَا هُوَ غَائِبٌ، وَمَا سَيَكُونُ إِلَى يومِ الْقِيَامَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة لقمان:١٦](٣).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وهُوَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ خَالِقُهُمْ جلَّ وعَلَا، وَلِهَذَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، واللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [سورة النمل:٦٥]» رواهُ مُسْلِمٌ، واللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أَنْ يُعْلِنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ،(4)

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٧٠٠). وأخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٧٠٥).

(٢) الحديث السابق.

(٣) ينظر: شرح الهراس على الواسطية (ص٨٩).

(٤) صحيح مسلم برقم (١٧٧).

الْغَيْبَ، وذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [سورة الأنعام:٥٠](١).

وَمِنْهَا: أَنَّ كُلَّ مَا فِي هَذَا الْكَونِ مَكْتُوبٌ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢)، وقَدْ أَبْدَعَ اللهُ هَذَا الْكَوْنَ عَلَى وَفْقِ تَقْدِيرٍ أَزَلِيٍّ عِنْدَهُ، وأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يونس:٦١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٩-٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحديد:٢٢-٢٣](٣).

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٠].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ عِنْدَ النَّوْمِ(٤).

(١) ينظر: أضواء البيان (٤٨١/١).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٤٧/٢).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٠٦/٤).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٨١/٢)، تفسير القرطبي (١٥١/٣)، تفسير الجلالين (ص١٧١).

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ)[1].

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أيْ: النَّهَارَ، بِرَدِّ أَرْوَاحِكُمْ بَعْدَ قَبْضِهَا بِالنُّومِ؛ لِتَقُومُوا بِأَعْمَالِكُمْ)[2].

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لتُقْضَى آجَالُكُمُ الْمُحدَّدةُ فِي الدُّنْيا)[3].

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[4] ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجازِيكُمْ بِهِ)[5].

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ فِي النَّوْمِ رَحْمَةً بِالْعِبَادِ؛ حَيْثُ تَهْدَأُ الْأَنْفُسُ، وتَرْتَاحُ الْأَبْدَانُ، وَتَسْكُنُ الجَوارِحُ، وَقَدِ امْتَنَّ اللَّهُ بِالنَّومِ عَلَى الْعِبَادِ، فدَعَاهُمْ لِلتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَشُكْرِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الروم:٢٣]. وَالنَّوْمُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَى قَيوميَّتِهِ وَوَحْدَانيَّتِهِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِتَدْبِيرِ الْعِبَادِ فِي يَقْظَتِهِمْ وَمَنَامِهِمْ)[6].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ النَّومَ وَفَاةٌ صُغْرَى؛ لَا تَنْقَطِعُ فِيهَا الْحَيَاةُ بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام:٦٠] فَالْوَفَاةُ نَوْعَانِ: وَفَاةٌ صُغْرَى، وَيُقْصَدُ بِهَا النُّومُ، وَوَفَاةٌ كُبْرَى وَيُرَادُ بِهَا الْمَوتُ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي آيةٍ أُخْرَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الزمر:٤٢])[7].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢/٢٨١)، تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٥١)، تفسير الرازي (١٣/١٣)، تفسير ابن كثير (٣/٢٦٦).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٦).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٨٧)، تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٥٩).

(٧) ينظر: أضواء البيان (١/٤٨٥).

وَمِنْهَا: أَنَّ وَقْتَ النَّومِ الْمُنَاسِبِ للفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عَلَيهَا هُوَ اللَّيلُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [سورة الأنعام:٦٠]، وَقَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الروم:٢٣]. وَمُخالَفَةُ هَذِهِ الْفِطْرَةِ أَمْرٌ خَطِيرٌ عَلَى الصِّحَّةِ، وَقَدْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ اللَّيْلُ لِلسُّكُونِ وَالرَّاحَةِ وَالنَّومِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة يونس:٦٧]، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام:٩٦]، وَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة النمل:٨٦]، وَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة غافر:٦١]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [سورة النبأ:١٠]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ [سورة الفرقان:٤٧].

وَمِنْهَا: أَنَّ وَقْتَ الْعَمَلِ الْمُنَاسِبِ لِلْفِطْرَةِ هُوَ النَّهَارُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام:٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة النمل:٨٦]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [سورة النبأ:١١][1].

***

## ﴿وَهُوَ ٱلْقَـٰهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦١].

﴿وَهُوَ ٱلْقَـٰهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ مَلائِكَةً تُحْصِي أَعْمَالَكُمْ[2]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢]، وأيضًا يَحْفَظُونَ أَبْدَانَنَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد:١١][3].

---

(١) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص٢٣٥).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٥١/٣)، تفسير ابن كثير (٢٦٧/٣).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: أسبابُه[1] ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ وَهُمْ مَلَكُ الْمَوتِ وَأَعْوَانُهُ[2] ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ يُقَصِّرُونَ فِيما يُؤْمَرُونَ بِهِ[3].

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْقَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ، الْمُهَيْمِنُ عَلَيْهِمْ:

- فَهُوَ فَوقَهُمْ بِذَاتِهِ، لَهُ عُلُوُّ الْقَهْرِ وَالشَّأْنِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ.
- وَهُوَ الْمُهَيمِنُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:١١].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [سورة الأنعام:٦١]، وَقَالَ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة السجدة:١١]، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ مَلَكٌ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّ لَهُ أَعْوانًا يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ، وَيُعِينُونَهُ عَلَى ذَلِكَ[4].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ أَعْوانٍ لِمَلَكِ الْمَوتِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قال النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ ورِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، ويَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وجِدَتْ عَلَى وجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا...»[5] الخ، فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَعَ مَلَكِ الْمَوتِ مَلَائِكَةً آخَرِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ يَدِهِ الرُّوحَ حِينَ يَأْخُذُهَا مِنْ بَدَنِ الْمَيتِ.

**وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ وَيَقُولُ:** كَيفَ يَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوتِ الْأَرْوَاحَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؟

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي (١٢٣/٢)، تفسير القرطبي (٧/٧).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (١٦٦/٢)، تفسير ابن كثير (٢٦٧/٣).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٥٢/٣)، تفسير الجلالين (ص١٧١).

(٤) ينظر: معارج القبول (٦٦٠/٢).

(٥) مسند أحمد برقم (١٨٥٣٤).

وَ**الْجَوابُ**: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُقَرِّبُ لَهُ مَسَافَاتِ الْأَرْضِ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْقَصْعَةِ بَيْنَ يَدَيهِ، وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: (حُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ، فَجُعِلَتْ لَهُ مِثْلَ الطَّسْتِ، يَتَنَاوَلُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ)[1]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "وَرَوَى زُهَيرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ مَرْفُوعًا، قَالَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا"[2].

***

## ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٢].

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ أيْ: الذينَ قُبِضَتْ أَرْوَاحُهُمْ ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ للجَزَاءِ وَالْحِسَابِ ﴿مَوۡلَىٰهُمُ﴾ مالِكُهُمُ الَّذِي يَلِي أُمُورَهُم[3]، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ ﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ بِالْجَرِّ صِفَةٌ لِاسْمِ اللهِ[4]، أي: مَوْلَاهُمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ[5]، وقُرِئَ بِالنَّصْبِ عَلى إِضْمَارِ فِعْلٍ، أيْ: أعْنِي أوْ أمْدَحُ[6].

﴿أَلَا لَهُ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿ٱلۡحُكۡمُ﴾ القَضَاءُ النَّافِذُ فِيهِمْ[7].

﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ أَيْ: إِذَا حَاسَبَ فَحِسَابُهُ سَرِيعٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرَةٍ وَرَوِيَّةٍ وَعَقْدِ يَدٍ[8].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/٦٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٦١).

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٤٥)، فتح القدير (٢/١٤٢).

(٤) ينظر: فتح القدير (٢/١٤٢).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٦)، تفسير النسفي (١/٥١١).

(٦) ينظر: فتح القدير (٢/١٤٢).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٢).

(٨) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٥٢)، تفسير القرطبي (٧/٧).

***

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:٦٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهؤلَاءِ الْمُشْرِكِينَ)1(: ﴿مَن﴾ الَّذِي ﴿يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أَهْوَالِهِمَا وَشَدَائِدِهِمَا فِي أَسْفَارِكُمْ)2( حِينَ ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾ مُظْهِرِينَ الضَّرَاعَةَ، وهِيَ وهِيَ شِدَّةُ الفَقْرِ إلى الشَّيْءِ والحاجَةِ)3( ﴿وَخُفْيَةً﴾ مُسِرِّينَ بِالدُّعاءِ)4(.

تَقُولُونَ: ﴿لَّئِنْ﴾ لَامُ قَسَمٍ)5( ﴿أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الظُّلُمَاتِ وَالشَّدَائِدِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ المُؤْمِنِينَ)6(.

***

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦٤].

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ)7(: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ أي: يُنْقِذُكُمْ وَيُخَلِّصُكُمْ ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: شِدَّةٍ شِدَّةٍ وَضِيقٍ.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أَيْ: تَدْعُونَ مَعَهُ غيره)8(.

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَلُّقَ بِهِ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُنْجِي مِنْ كُرُبَاتِ وَشَدَائِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٢).

(٢) ينظر: زاد المسير (٣٩/٢)، تفسير الجلالين (ص١٧٢).

(٣) ينظر: زاد المسير (٣٩/٢).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (٥١١/١).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٢).

(٦) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٨٣/٢).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٢).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٦٨/٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "التَّوْحِيدُ مَفْزَعُ أَعْدَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ فَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ فَيُنَجِّيهِمْ مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا وَشَدَائِدِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]. وَأَمَّا أَوْلِيَاؤُهُ فَيُنَجِّيهِمْ بِهِ مِنْ كُرُبات الدُّنْيَا والْآخِرَةِ وَشَدَائِدِهَا، ولذَلِك فَزِعَ إِلَيْهِ يُونُسُ فَنَجَّاهُ اللهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَفَزِعَ إِلَيْهِ أَتبَاعُ الرُّسُلِ فَنَجَوا بِهِ مِمَّا عُذِّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، ولَمَّا فَزِعَ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ عِنْد مُعَايَنَةِ الْهَلَاكِ وإِدْرَاكِ الْغَرق لَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ؛ لِأَنَّ الْإِيْمَانَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ لَا يُقْبَل، هَذِه سُنَّةُ اللهِ فِي عِبادِهِ، فَمَا دُفِعَتْ شَدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ، ولذَلِكَ كَانَ دُعَاءُ الكَرْبِ بِالتَّوْحِيدِ، وَدَعْوَةُ ذِي النُّون الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ كَرْبَه بِالتَّوْحِيدِ، فَلَا يُلْقَى فِي الكَرَبِ الْعِظَامِ إِلَّا الشِّرْكُ، ولَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ، فَهُوَ مَفْزَعُ الخَلِيقة ومَلْجَؤُها، وحِصْنُها وَغِياثُها"(1).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلاَّ فِي الرَّخَاءِ، وأَمَّا فِي الشِّدَّةِ وَالْكَرْبِ فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ للهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء:٦٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة يونس:٢٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [سورة لقمان:٣٢](2).

---

(١) الفوائد (ص٥٣).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة (ص٣١٨)، تفسير السعدي (ص٦٣٥).

***

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦٥].

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ اللهُ وَحْدَهُ ﴿عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ﴾ يُرْسِلَ ﴿عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ مِن السَّماءِ كَالحِجَارَةِ والصَّيْحَةِ وَالرِّيحِ وَالطُّوفَانِ)1( ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ مِنَ الْأَرْضِ كَالخَسْفِ وَالزَّلَازِلِ)2(.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يَخْلِطَ أمْرَكُمْ عَلَيكُمْ، فَتَكُونُوا فِرَقًا مُتَنَاحِرَةً يَتَشَيَّعُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ)3(.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يُسَلِّطُ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ بِالْقَتْلِ وَالْعَذابِ)4(.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ البُخارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [سورة الأنعام:٦٥] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: هَذِهِ أَهْوَنُ -أَوْ قَالَ: هَذَا أَيْسَرُ»)5(.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى مَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَصَلَّيْنَا مَعَهُ، فَنَاجَى رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ طَوِيلًا. قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، سَأَلْتُهُ: أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا. وسَأَلْتُهُ: أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وسَأَلْتُهُ: أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا»)6( أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢/٢٨٣)، تفسير البغوي (٣/١٥٣).

(٢) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٩).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٥٣)، زاد المسير (٢/٤٠)، تفسير ابن كثير (٣/٢٧٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٠٠)، تفسير ابن كثير (٣/٢٧٧).

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٦٢٨).

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٩٠).

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾ نُبَيِّنُ لَهُمْ[1] ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الْحُجَجَ وَالدَّلَالَاتِ[2] ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ أيْ: يَفْهَمُونَ ويَعْتَبِرُونَ، فَيَكُفُّوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ[3].

***

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ [سورة الأنعام:٦٦].

﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بِالقُرْآنِ أَوِ الْعَذَابِ[4] ﴿قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾ الصِّدْقُ[5].

﴿قُل﴾ لَهُمْ: ﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ بِحَفِيظٍ عَلَى أَعْمَالِكُمْ حَتَّى أُجَازِيَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ[6]، إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ[7]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [سورة الشورى:٤٨].

***

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦٧].

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ﴾ خبر ﴿مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾ نِهَايَةٌ وَلَو بَعْدَ حِينٍ، فَيَتَبَيَّنُ الصِّدْقُ مِنَ الْكَذِبِ، وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ[8]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينٖ﴾ [سورة ص:٨٨][9].

﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ صِحَّةَ مَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَمَا تُبْعَثُونَ يَومَ الْقِيامَةِ[11].

***

(١) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٩).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١/٧)، فتح القدير (١٤٤/٢).

(٣) ينظر: تفسير الخازن (١٢٢/٢)، تفسير القاسمي (٣٨٩/٤).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٥٩)، تفسير البغوي (١٥٤/٣)، تفسير النسفي (٥١٢/١).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (١٦٧/٢)، تفسير النسفي (٥١٢/١)

(٦) ينظر: فتح القدير (١٤٥/٢).

(٧) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٨٥/٢)، تفسير القرطبي (١١/٧).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٣١١/٩)، تفسير البغوي (١٥٤/٣).

(٩) ينظر: أضواء البيان (٣٨٧/٦).

(١٠) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢٠٥٨/٣).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٦٨].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾ يَتكلَّمُونَ بِالسُّخْرِيةِ وَالْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ)1( ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: الْقُرْآنِ)2(.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ولَا تُجالِسْهُمْ)3( ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾ أَيْ: حَتَّى يَأْخُذُوا يَأْخُذُوا فِي كَلَامٍ آخَرَ غَيْرِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ)4(.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: وَإِنْ أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ الْإِعْرَاضَ عَنْهُمْ فَقَعَدْتَ مَعَهُمْ)5(.

﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أيْ: فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ أَنْ تَتذكَّرَ)6( ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء:١٤٠].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾ [سورة النساء:١٤٠] فَدَلَّ بِهَذَا عَلَى وجُوبِ اجْتِنَابِ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُمْ فَقَدْ رَضِيَ فِعْلَهُمْ، والرِّضَا بِالْكُفْرِ كُفْرٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾، فَكُلُّ مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسِ مَعْصِيَةٍ ولَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ يَكُونُ مَعَهُمْ فِي الْوِزْرِ سَوَاءً، ويَنْبَغِي أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ إِذَا تَكَلَّمُوا بِالْمَعْصِيَةِ وعَمِلُوا بِهَا، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى النَّكِيرِ عَلَيْهِمْ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وقَدْ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٥٥)، تفسير ابن كثير (٣/٢٧٨).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٥٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٧٨).

(٥) ينظر: زاد المسير (٢/٤١).

(٦) ينظر: أضواء البيان (٧/٢٩١).

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ قَوْمًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَقِيلَ لَهُ عَنْ أَحَدِ الْحَاضِرِينَ: إِنَّهُ صَائِمٌ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْأَدَبَ، وقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، أَيْ: إِنَّ الرِّضَا بِالْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةٌ، ولِهَذَا يُؤَاخَذُ الْفَاعِلُ والرَّاضِي بِعُقُوبَةِ الْمَعَاصِي حَتَّى يَهْلَكُوا بِأَجْمَعِهِمْ"[1].

***

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦٩].

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ اللَّهَ تَعَالَى ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ الخائِضِينَ فِي آيَاتِ اللهِ تَعَالَى[2] ﴿مِّن شَىْءٍ﴾.

﴿وَلَٰكِن﴾ عَلَيْهِمْ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تَذْكِرَةً لَهُمْ ومَوْعِظَةً[3] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ تَعَالَى بِتَرْكِ الْخَوْضِ فِي آيَاتِهِ[4].

وَفِي الْآيَةِ "دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْمِلَ الْمُذَكِّرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ مَقْصُودِ التَّقْوَى، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ التَّذْكِيرُ وَالْوَعْظُ مِمَّا يَزِيدُ الْمَوْعُوظَ شَرًّا إِلَى شَرِّهِ، إِلَى أَنَّ تَرْكَهُ هُوَ الْوَاجِبُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَاقَضَ الْمَقْصُودَ كَانَ تَرْكُهُ مَقْصُودًا"[5].

***

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الأنعام:٧٠].

---

(١) تفسير القرطبي (٥/٤١٨).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٤٧)، تفسير القرطبي (٧/١٥).

(٥) تفسير السعدي (ص٢٦٠).

﴿وَذَرِ﴾ وَاتْرُكْ أَيُّهَا الرَّسُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ جَعَلُوا ﴿دِينَهُمْ﴾ دِينَ الْإِسْلَامِ)1( ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ بِالسُّخْرِيَّةِ وَالْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ)2( ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾ خَدَعَتْهُمْ)3( ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بِزِينَتِهَا)4(.

﴿وَذَكِّرْ﴾ عِظْ)5( ﴿بِهِۦٓ﴾ بِالقُرْآنِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ)6( ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ لِكَيْلَا تُحْبَسَ نَفْسٌ وَتُفْضَحَ وَتُؤْخَذَ)7( ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عَمِلَتْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر:٣٨])8(.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: غَيْرُهُ ﴿وَلِيٌّ﴾ نَاصِرٌ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَمْنَعُ عَنْهَا الْعَذَابَ)9(.

﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تَفْدِي كُلَّ فِدَاءٍ)11( ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ أَيْ: لَا يُقْبَلُ مِنْهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٩١])11(.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾ أَيْ: أُخِذُوا وَحُبِسُوا وَأُسْلِمُوا لِلْهَلَاكِ)12( ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ أَيْ: بِسَبَبِ مَا ارْتَكَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ.

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٥١٣/١).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٨٧/٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٣١٨/٩).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (١٥٥/٣).

(٧) ينظر: تفسير الماوردي (١٣٠/٢)، تفسير ابن كثير (٢٧٩/٣).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٧٩/٣).

(٩) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(١٠) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٨٦/٢)، تفسير البيضاوي (١٦٧/٢).

(١١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٧٩/٣).

(١٢) ينظر: تفسير الطبري (٣٢١/٩)، تفسير البغوي (١٥٦/٣).

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ بالغٍ نهايةَ الحَرارَةِ)1(، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [سورة الكهف:٢٩])2(.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤْلِمٌ)3( ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بِسببِ كُفْرِهِمْ)4(.

***

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهؤلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ رَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿أَنَدْعُواْ﴾ أَنَعْبُدُ)5( ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ إِنْ دَعَوْنَاهُ)6( ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إِنْ تَرَكْنَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ)7( وَالْأَنْدَادِ وَكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ ونَرْجِعُ إِلَى الشِّرْكِ)8( ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إِلَى الْإِسْلَامِ)9(.

﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أي: هَوَتْ بِهِ وَأَضَلَّتْهُ)11( ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَتَرَكَتْهُ ﴿حَيْرَانَ﴾ أيْ: تَائِهًا ضَالًّا عَنِ الْجَادَّةِ، لَا يَدْرِي كَيْفَ يَصْنَعُ)1(.

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٢) ينظر: فتح القدير (١٤٨/٢)، أضواء البيان (١٥١/٢).

(٣) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي (٢٨٦/٢).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (١٦٨/٢)، تفسير الجلالين (ص١٧٣).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (٥١٤/١)، تفسير القاسمي (٣٩٦/٤).

(٧) ينظر: تفسير القرطبي (١٧/٧).

(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (١٦٨/٢).

(٩) ينظر: تفسير الماوردي (١٣٢/٢)، تفسير النسفي (٥١٤/١).

(١٠) ينظر: زاد المسير (٤٣/٢)، تفسير البغوي (١٥٦/٣)، تفسير ابن كثير (٢٨٠/٣).

﴿لَهُۥٓ﴾ أيْ: لِهَذَا المُسْتَهْوِئ ﴿أَصۡحَٰبٌ﴾ أيْ: رُفْقَةٌ ﴿يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾ أيْ: إِلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ الذي هُمْ عَلَيهِ)2(، ويَقولُونَ لَهُ: ﴿ٱئۡتِنَاۖ﴾ لِكي تَنْجُو مِنَ الْهَلَاكِ فيأْبَى)3(.

﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ ﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾ ومَا عَداهُ ضَلَالٌ.

﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ﴾ أَيْ: أَنْ نُسَلِّمَ ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)4(.

وَفِي الآيةِ أَنَّ الْهِدَايَةَ بِيدِ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَلَو شَاءَ اللَّهُ هِدَايَةَ الْعَبْدِ لَهَدَاهُ، ولَرَدَّ بِهِ إِلَى الطَّرِيقِ، ولِهَذَا قَالَ: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [سورة الزمر:٢٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾ [سورة الزمر:٣٧]، وقَالَ: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [سورة النحل:٣٧])5(.

وَمَعَ أَنَّ الْهِدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَّ الْعَبْدَ مُطَالَبٌ بِالْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الْهِدَايَةِ، فإِذَا بَذَلَ الْأَسْبَابَ جَاءَهُ التَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٣].

***

## ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٧٢].

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كَامِلَةً بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا)6( ﴿وَٱتَّقُوهُۚ﴾ تَعَالَى بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَواهِيهِ(٧).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تُجْمَعُونَ يَوْمَ القِيامَةِ لِلْحِسَابِ)8(.

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٥١٤/١)، تفسير أبي السعود (١٤٩/٣).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٣٧/٢)، تفسير البيضاوي (١٦٨/٢).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٨٠/٣-٢٨١).

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦١).

(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦١).

(٨) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٨٧/٢).

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام:٧٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أيْ: بِالحِكْمَةِ[1]، كَقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [سورة آل عمران:١٩١]، وقَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٦][2].

﴿وَيَوْمَ﴾ اُذْكُرْ ﴿يَقُولُ﴾ لِلشَّيْءِ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هُوَ يَوْمُ القِيامَةِ يَقُولُ لِلْخَلْقِ: قُومُوا فَيَقُومُوا ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ الصِّدْقُ الْوَاقِعُ لَا مَحالَةَ[3].

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ يُفِيدُ الحَصْرَ، والمَعْنى: أنَّهُ لَا مُلْكَ فِي ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ إلّا للهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى[4]، كَما قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة غافر:١٦]، وَقَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة الفرقان:٢٦][5]، وَالْمُرَادُ بـ﴿ٱلصُّورِ﴾ القَرْنُ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إسْرافِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ[6].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ مَا غَابَ وَمَا شُوهِدَ[7]، بَلِ الْغِيبُ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ جَلَّ وَعَلَا.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي تَصرُّفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَتَدَابِيرِهِ[8] ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بِباطِنِ الْأَشْياءِ وَظَواهِرِهَا[9].

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (١/٥١٥).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (١٣/٢٧)، تفسير القاسمي (٤/٣٩٧).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (١٣/٢٧).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٨١).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٧/٢٠)، تفسير ابن كثير (٣/٢٨١).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٨) ينظر: تفسير النسفي (٣/٢٨٤)، أيسر التفاسير (٢/٧٩).

(٩) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

***

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤].

﴿وَإِذْ﴾ اُذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ وَ(آزَرُ) هُوَ اسمُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الصَّحِيحِ؛ لِصَرِيحِ الْآيَةِ)1(؛ وَلِمَا رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وعَلَى وجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لاَ تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ(٢) مُلْتَطِخٍ، مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»)3(.

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ الِاسْتِفْهامُ لِلْإِنْكارِ، أيْ: أتَجْعَلُها آلِهَةً لَكَ تَعْبُدُها)4(.

﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ المُتَّبِعِينَ لَكَ في عِبادَةِ الأصْنامِ ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ ﴿مُبِينٍ﴾ واضِحٍ)5(.

**وَفِي الْآيَةِ** أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَدَأَ بِدَعْوَةِ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَبُوهُ آزَرُ؛ بِرًّا بِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهِ، وَقَدْ تَدَرَّجَ مَعَهُ فِي الدَّعْوَةِ، فَبَدَأَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ، وَتَلَطَّفَ مَعَهُ غَايَةَ التَّلَطُّفِ)6(، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٤٤)، تفسير ابن كثير (٣/٢٨٩)، التحرير والتنوير (٧/٣١٠).

(٢) الذيخ: ذكر الضباع. ينظر: نظم الدرر (١٧/٤٠)، الفائق في غريب الحديث (٢/٣٢٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣٥٠).

(٤) ينظر: فتح القدير (٢/١٥١).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٥١).

(٦) المقصود بالتلطف: استعمال الكلام الحَسَن، مع الرفق واللين في الحوار، بهدف الإقناع، مع البعد عن الرفض المرتبط بالشدّة والدفاع عن النفس.

مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

[سورة مريم: ٤١-٤٨].

***

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: وَكَمَا أَرَيْنَاهُ ضَلَالَ أَبِيهِ وقَوْمِهِ فِي عِبَادَتِهِمَا لِلأَصْنَامِ[1] أَرَيْنَاهُ ﴿مَلَكُوتَ﴾ أَيْ: مُلْكَ[2] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالدَّوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ[3]، وَدَلَالَةُ ذَلِكَ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ[4].

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ بِهَا، وَالْمُوقِنُ هُوَ الْعَالِمُ بِالشيءِ عِلْمًا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطرَأَ لَهُ فِيهِ شَكٌّ[5].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْيَقِينُ هُوَ طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ، وَاسْتِقْرَارُ الْعِلْمِ فِيهِ، ... وَضِدُّ الْيَقِينِ الرَّيْبُ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالِاضْطِرَابِ"[6].

وَلليَقِينِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَقُرْبِهِ مِنَ اللهِ وَسَعَادَتِهِ فِي الدَّارَيْنِ.

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ مَنْزِلَةُ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، وبِهِ تَفَاضَلَ الْعَارِفُونَ، وفِيهِ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وإِلَيْهِ شَمَّرَ الْعَامِلُونَ"[7].

**وَثَمَرَتُهُ وَفَائِدَتُهُ**: أَنَّ طُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ وَسَلَامَتَهُ مِنَ الْاضْطِرَابَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، لَنْ تَكُونَ إِلَّا بِبُلُوغِ مَنْزِلَةِ الْيَقِينِ، فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى بُلُوغِهَا، والْوُصُولِ إِلَيْهَا يَكُونُ بالتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ.

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٣/٧)، تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٣) ينظر: تفسير الماوردي (١٣٥/٢).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٤٠/٢)، تفسير البيضاوي (١٦٩/٢).

(٥) ينظر: تفسير الثعالبي (٤٨٥/٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٢٩/٣).

(٧) مدارج السالكين (٣٩٥/٥).

وَفِي الْآيَةِ أَنَّ اللهَ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَقُوَّةِ الْحُجَجِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [سورة الأنعام:٨٣][1].

***

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٦].

﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أَظْلَمَ[2] ﴿عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ أَيْ: نَجْمًا[3] ﴿قَالَ﴾ لِقَوْمِهِ تَنَزُّلًا وَكَانُوا نَجَّامِينَ: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بَصَرَهُ يَنْظُرُ إِلَى هَذَا الكَوْكَبِ[4].

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غَابَ[5] وَاخْتَفَى ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: لَا أُحِبُّ الْإِلَهَ الذي يَغِيبُ وَيَخْتَفِي[6]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَعْمَلَ عَقْلَهُ وَعِلْمَهُ، إِذِ الْآفِلُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْبُدَ مِنْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

***

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٧].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ طَالِعًا[7] ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ﴾ مُفْتَقِرًا وَمُحْتَاجًا إِلَى هِدَايَةِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾ يُرْشِدْنِي رَبِّي وَيُوفِّقْنِي إِلَى تَوْحِيدِهِ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ[1] ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، وَفِي هَذَا تَعْرِيضٌ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ بِأَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالٍ[2].

---

(١) ينظر: تيسير اللطيف المنان (ص٢١٠).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (١/٥١٦)، تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٥٦)، تفسير البغوي (٣/١٦٠).

(٥) ينظر: تفسير الماوردي (٢/١٣٧)، تفسير ابن كثير (٣/٢٩١).

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٢).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٦١)، تفسير الماوردي (٢/١٣٧).

***

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام:٧٨].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ الطَّالِعُ ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ﴾ مِنَ الكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَأَعْظَمُ)3(.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ أي: فَلَمَّا غَابتْ ظَهَرَ الْحَقُّ، وَثَبَتَ بِالدَّلِيلِ أَنَّ هَذِهِ الكَواكِبَ لَا تَصْلُحُ لِلرُّبُوبِيَّةِ والإِلَهِيَّةِ، تَبَرَّأَ مِنَ الشِّرْكِ)4(، وَ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنامِ وَالْكَوَاكِبِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى)5(.

***

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٩].

قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قَصَدْتُ بِعِبادَتِي)6( ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خَلَقَ)7( ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وَابْتَدَعُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ)8(، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿حَنِيفًا ۖ﴾ مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ)9( ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِاللهِ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ)10(.

وَالْآيَاتُ فِيهَا فَوائِدُ:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٦١).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٦٢)، تفسير البغوي (٣/١٦٣).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (١٣/٤٧).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩٢)، تفسير الجلالين (ص١٧٥).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٧/٢٨).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٥).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩١).

(٩) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩١).

(١٠) ينظر: تفسير النسفي (١/٥١٧).

**مِنْهَا:** أَنَّها تَدُلُّ عَلى أنَّ الدِّينَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلى الدَّلِيلِ لَا عَلى التَّقْلِيدِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِهَذا الِاسْتِدْلالِ فائِدَةٌ البَتَّةَ[1].

**وَمِنْهَا:** مَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آدَابِ الْمُنَاظَرَةِ، وَطُرُقِهَا وَمَسَالِكِهَا النَّافِعَةِ، وَكَيْفِيَّةِ إِلْزَامِ الْخَصْمِ بِالطُّرُقِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي يَعْتَرِفُ بِهَا أَهْلُ الْعُقُولِ، وَإِلْجَاؤُهُ الْخَصْمَ الْأَلَدَّ إِلَى الِاعْتِرَافِ بِبُطْلَانِ مَذْهَبِهِ، وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى الْمُعَانِدِينَ وَإِرْشَادُ الْمُسْتَرْشِدِينَ[2].

**وَمِنْهَا:** التَّنَزُّلُ فِي الْمُنَاظَرَةِ مَعَ الْخَصْمِ[3]، فَلَمَّا كَانَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْكَوَاكِبَ، أَرَادَ أَنْ يُرْشِدَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ عَنْ طَرِيقِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَإِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ، فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى التَّفْكِيرِ فِيمَا يُشَابِهُ فِكْرَهُمْ وَثَقَافَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ، مُنَبِّهًا لَهُمْ خَطَأَهُمْ، وَقَدِ اتَّخَذَ طَرِيقَةَ إِظْهَارِ مُسَايَرَتِهِمْ فِي اعْتِقَادِهِمْ.

ثُمَّ نَقَضَ هَذَا الْمُعْتَقَدَ مِنْ دَاخِلِهِ بِإِظْهَارِ تَنَاقُضِهِ وَضَعْفِهِ وَتَهَافُتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي: سَتَرَهُ بِظَلَامِهِ، ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ قِيلَ: الزُّهْرَةُ4، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ قَالَ لِقَومِهِ عَلَى عَلَى سَبِيلِ التنزُّلِ إِلَى قَوْلِ الْخَصْمِ: هَذَا رَبِّي، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ فاسدًا، فَإِنَّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى فَسَادِ قَولٍ يَحْكِيهِ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْخَصْمُ، ثُمَّ يُبَيِّنُ لَهُ الْفَسَادَ الَّذِي هُوَ فِيهِ. وَهَذَا الْأُسْلُوبُ أَقْرَبُ إِلَى اسْتِيعَابِ الْخَصْمِ وَرُجُوعِهِ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غَابَ، ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ فضلًا عَنْ عِبَادَتِهِمْ، فَإِنَّ التَّغَيُّرَ بِالِاسْتِتَارِ وَالِانْتِقَالَ يَقْتَضِي الْإِمْكَانَ وَالْحُدُوثَ، وَهَذَا يُنَافِي الْأُلُوهِيَّةَ[5].

ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي بَيَانِ مُنَافَاةِ اسْتِحْقَاقِ بَقِيَّةِ الْكَوَاكِبِ لِلْأُلُوهِيَّةِ لِذَاتِ الْأَسْبَابِ، إِلَى أَنْ وَصَلَ بِهِمْ إِلَى النَّتِيجَةِ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام:٧٨]؛ لِأَنَّهُ لَمَّا انْتَفَى اسْتِحْقَاقُ الْأُلُوهِيَّةِ عَنْ أَعْظَمِ الْكَوَاكِبِ الَّتِي عَبَدُوهَا فَقَدِ انْتَفَى عَمَّا دُونَهَا بِالْأَحْرَى[6].

فَالْمُحَاوِرُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ أَنْ يُرْخِيَ الْعِنَانَ لِلْخَصْمِ لِيَصِلَ بِهِ إِلَى قَبُولِ الْحُجَّةِ، وَلَا يَنْفِرَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (١٣/٤٥).

(٢) ينظر: تيسير اللطيف المنان (ص٢١١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٢).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٤).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٩).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٧/٣٢٢).

وَمِنْهَا: أَنَّ أَصْلَ الْعِبَادَةِ هِيَ الْمَحَبَّةُ، وَأَنَّ الشِّرْكَ فِيهَا أَصْلُ الشِّرْكِ، كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي قِصَّةِ إِمَامِ الْحُنَفَاءِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٦](١).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ نَفْهَمَ أَوْ نَعْتَقِدَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَوْ غَيْرِهَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ مُشْرِكًا، أَوْ أَنَّهُ كَانَ لا يَعْرِفُ رَبَّهُ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ مُحْتَارًا شَاكًّا، فَهَذَا قَوْلُ الضُّلَّالِ. وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِمَامُ الْمُوَحِّدِينَ، وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي سَلَكَهَا للدَّعْوَةِ، وللاسْتِدْرَاجِ، وَلِلْإِقْنَاعِ، وَالتَّنَزُّلِ مَعَ الْخَصْمِ، وَلَيسَتْ تَدُلُّ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَبدًا عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مُشْرِكًا، أَوْ مُشَكِّكًا، أَوْ مُتَحيِّرًا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ عَنْهُ: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة البقرة ١٣٥](٢).

قَالَ الْعَلَامَةُ الْأَمِينُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّه: "وَنَفْيُ الْكَوْنِ الْمَاضِي يَسْتَغْرِقُ جَمِيعَ الزَّمَنِ الْمَاضِي، فَثَبُتَ أَنَّهُ لَمْ يَتقدَّمْ عَلَيْهِ شِرْكٌ يومًا مَا"(3).

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَخَالِقُهَا وَمُبْدِعُهَا، وَخَالِقُ أَمْكِنَتِهَا وَمَحَالِهَا الَّتِي هِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهَا، وَلَا قِوَامَ لَهَا إِلَّا بِهَا، فَهِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى مَحَلٍّ تَقُومُ بِهِ، وَفَاطِرٍ يَخْلُقُهَا وَيُدَبِّرُهَا وَيُرَبِّهَا، وَالْمُحْتَاجُ الْمَخْلُوقُ الْمَرْبُوبُ الْمُدَبَّرُ لَا يَكُونُ إِلَهًا(٤).

***

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٠].

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ﴾ أي: جَادَلُوهُ وَخَاصَمُوهُ فِي تَوْحِيدِهِ للهِ تَعَالَى، وهَدَّدُوهُ بِالأَصْنامِ أَنْ تُصِيبَهُ بِسُوءٍ إِنْ تَرَكَهَا(٥).

﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ أَتُجادِلُونَنِي(٦) ﴿فِي﴾ أيْ: فِي تَوْحِيدِ ﴿ٱللَّهِ﴾ وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ﴾ تَعَالَى للتَّوْحِيدِ.

---

(١) ينظر: قاعدة في المحبة لابن تيمية (ص٨٧).

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٥٦٢/٤)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨٥/٤)، تفسير السعدي (ص٢٦٢).

(٣) أضواء البيان (٤٨٦/١).

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان (٢٥٣/٢).

(٥) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٣)، تفسير الجلالين (ص١٧٥).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٥).

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: وَلَا أَخَافُ الَّذِي تُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنَ الأَصْنامِ أَنْ تُصِيبَنِي بِسُوءٍ[1]؛ لِأَنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَهِيَ أَقَلُّ وَأَحْقَرُ مِنْ أَنْ تَضُرَّ مَنْ كَفَرَ بِهَا، وَجَحَدَ عِبَادَتَهَا.

ثُمَّ رَدَّ الْأَمْرَ إِلَى مَشِيئَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَنْفَعُ وَيَضُرُّ، فَقَالَ: ﴿إِلَّآ﴾ لَكِنْ ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾[2] مِنَ المَكْرُوهِ يُصِيبُنِي فَيَكُونُ[3].

﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أيْ: وسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا تَخْفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ[4].

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ[5]، وَمَنْ أَوْلَى بِأَنْ يُخَافَ وَيُعْبَدَ: هُوَ سُبْحَانَهُ، أَمْ مَعْبُودَاتُكُمْ وَأَصْنَامُكُمْ؟[6]

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: "وَهَذِهِ الْحُجَّةُ نَظِيرُ مَا احْتَجَّ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى قَوْمِهِ عَادٍ، فِيمَا قَصَّ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة هود:٥٣-٥٦]"[7].

---

(١) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٣)، تفسير الجلالين (ص١٧٥).

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٥٤).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩٣).

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/١٦٥).

(٦) ينظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٥٤).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/٢٩٣).

***

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨١].

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ معْبُوداتِكُمْ[1]، وَهِيَ لَا تَضرُّ وَلَا تَنْفَعُ[2].

﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنْتُمْ مِنَ اللَّهِ ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ فِي الْعِبَادَةِ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُخافَ مِنْهُ كُلَّ الخَوْفِ[3]؛ لِأَنَّهُ هُوَ الضَّارُّ النَّافِعُ جَلَّ وَعَلَا، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٥].

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ عَلَى هَذَا الْإِشْرَاكِ حُجَّةٌ أَوْ بُرْهانٌ[4].

﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ فَرِيقُ الْمُوحِّدِينَ أَمْ فَرِيقُ الْمُشْرِكِينَ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مَنِ الْأَحَقُّ فاتَّبِعُوهُ، وَالْأَحَقُّ بِلَا شَكٍّ فَرِيقُ الْمُوحِّدِينَ[5].

***

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ يَخْلِطُوا[6] ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أيْ: شِرْكٍ، كما ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[7] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وقَالُوا: «أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٠)، تفسير النسفي (١/٥١٨).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٥).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٠).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٣).

(٥) ينظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص٢٢٢).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٦٤).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٥).

نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة لقمان:١٣]»(١).

وَقَولُهُ: ﴿بِظُلۡمٍ﴾ نَكِرَةٌ فِي سِياقِ النَّفيِ، فَيَعُمُّ كُلَّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، وَلَكِنَّ الْعُمُومَ هُنَا دَخَلَهُ التَّخْصِيصُ، فَيكُونُ الْمُرَادُ بِهِ عُمُومَ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، وَلَيْسَ عُمُومَ أَنْوَاعَ الظُّلْمِ(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ الْمُطْلَقُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الْهِدَايَةُ التَّامَّةُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ.

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** فَضْلُ التَّوْحِيدِ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ مُبْطِلٌ لِلإِيْمَانِ بِاللَّهِ إِنْ كَانَ أَكْبَرُ، أَوْ مُنْقِصٌ لَهُ إِنْ كَانَ أَصْغَرَ(٣).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ هُمُ الْآمِنُونَ مِنَ الْمَخَاوِفِ وَالْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ أَيْضًا هُمْ الْمُهْتَدُونَ للسير عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدَّارَيْنِ(٤).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الَّذِينَ خَلَطُوا إِيْمَانَهُمْ بِشِرْكٍ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ هِدَايَةٌ، وَلَا أَمْنٌ، بَلْ حَظَّهُمْ الضَّلَالُ وَالشَّقَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَلَهَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "عَلَى قَدَرِ الشِّرْكِ يَكُونُ الرُّعْبُ، فَالْمُشْرِكُ بِاللَّهِ أَشَدُّ شَيْءٍ خَوْفًا وَرُعْبًا، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِالشِّرْكِ لَهُمْ الْأَمْنُ وَالْهُدَى وَالْفَلَاحُ، وَالْمُشْرِكُ لَهُ الْخَوْفُ وَالضَّلَالُ وَالشَّقَاءُ"(5).

***

## ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [سورة الأنعام:٨٣].

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِن اسْتِدْلَالِهِ وَاحْتِجَاجِهِ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حَتَّى خَاصَمَهُمْ وَغَلَبَهُمْ بِالْحُجَّةِ(٦).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٦٠)، صحيح مسلم برقم (١٢٤).

(٢) ينظر: تفسير الماوردي (١٣٨/٢)، تفسير العز بن عبد السلام (٤٤٧/١).

(٣) ينظر: الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص٢٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) زاد المعاد (٢٠٣/٣).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٣٠/٧).

﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أيْ: أعْطَيْناهُ إيَّاها، وَأَرْشَدْناهُ إلَيْها[1] ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ أيْ: بِالْعِلْمِ والْفَهْمِ وَالدِّينِ وَالْإِمَامَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْعَقْلِ[2]، نَسأَلُ اللهَ تَعَالَى الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ.

***

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأنعام:٨٤].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ أي: ورَزَقْنا إبْراهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿إِسْحَٰقَ﴾ ابْنا ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ حَفِيدًا ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أيْ: كُلًّا مِنهُما هَدَيْناهُ الهِدايَةَ الكُبْرى، بِلُحُوقِهما بِدَرَجَةِ أبِيهِمَا فِي النُّبُوَّةِ، كَما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم:٤٩][3]، وقالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت:٢٧].

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أيْ: قَبْلَ إبْراهِيمَ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضَّمِيرُ لِنُوحٍ عَلَيهِ السَّلَامُ عَلَى الْأَظْهَرِ[4]؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَذْكُورٍ؛ ولِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [سورة الصافات:٧٧]؛ وَلِأَنَّ يُونُسَ ولُوطًا لَيْسا مِنْ ذُرِّيَّةِ إبْراهِيمَ، **وَقِيلَ**: الضَّمِيرُ لِإبْراهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذِ الكَلامُ فِيهِ[5]، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.

---

(١) ينظر: فتح القدير(٢/١٥٤).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢/٢٩٤)، تفسير البغوي (٣/١٦٤).

(٣) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٤١٦).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/٥١٩)، تفسير ابن كثير (٣/٢٩٧).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٠).

﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابْنَهُ ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابْنُ يَعْقُوبَ ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ أيْ: وَمِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءِ[1] ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

**وفِي الآيةِ:** دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى أَنْ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ، فَإِبْرَاهِيمُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا اعتزَلَ قَومَهُ لِمَا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الشِّرْكِ عَوَّضَهُ اللهُ، وَرَزَقَهُ أَوْلَادًا صَالِحِينَ عَلَى دِينِهِ وَاصْطَفَاهُمْ للنُّبُوَّةِ، كَما قالَ تَعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم:٤٩][2]، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»[3] رَوَاهُ أَحْمَدُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "وَقَوْلُهُمْ: «مَنْ تَرَكَ للهِ شَيْئًا عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ» حقٌّ، وَالْعِوضُ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَجَلُّ مَا يُعَوَّضُ بِهِ الْأُنْسُ بِاللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ بِهِ، وَقُوَّتُهُ وَنَشَاطُهُ، وَفَرَحُهُ، وَرِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى"[4].

***

## ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأنعام:٨٥].

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ابْنُهُ ﴿وَعِيسَى﴾ ابْنُ مَرْيَمَ.

وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ قَالَ بِدُخُولِ أَوْلَادِ الْبَنَاتِ فِي الْوَقْفِ عَلَى الذُّرِّيَّةِ[5].

كَمَا اسْتَدَلُّوا أَيْضًا بِقَولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لِلحَسَنِ بْنِ عليٍّ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، ولَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[6] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَبِهَذَا الْقَولِ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ[7] وَالشَّافِعِيُّ[8]، وَهُوَ رِوايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ[9].

**وَالْقَولُ الثَّانِي:** أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ.

وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ[1]، وَبِهِ قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ[2].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٠/٥٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩٧).

(٣) مسند أحمد برقم (٢٣٠٧٣).

(٤) الفوائد (ص١٠٧).

(٥) ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل (ص١١٩).

(٦) صحيح البخاري برقم (٢٧٠٤).

(٧) ينظر: عمدة القاري (١٤/٤٨)، الدر المختار (٤/٤٥٣ و٤٦٣).

(٨) ينظر: منهاج الطالبين (ص١٦٩)، مغني المحتاج (٣/٥٤٣).

(٩) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٧/٨٠).

لِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:١١]، فَلَا يَنصرِفُ إِلَّا إِلَى الْأَبْنَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَبْنَاءِ.

﴿وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ﴾ يَعُمُّ جَمِيعَ مَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنَ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ نَبِيًّا(٣) ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ، وَهُوَ الْإِتْيَانُ بِمَا يَنْبَغِي وَالتَّحَرُّزُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي(٤).

***

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٨٦].

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ وَهُوَ الْابْنُ الْأَكْبَرُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَبُو الْعَرَبِ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ﴾ هُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى(٥) ﴿وَلُوطٗاۚ﴾ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿وَكُلّٗا﴾ مِنهُمْ ﴿فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بِالنُّبُوَّةِ(٦).

***

﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الأنعام:٨٧].

﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ أَيْ: وفَضَّلنا بَعْضَ آبائِهِمْ(٧) ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: اخْتَرْناهُمْ(٨).

﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ لَا عِوَجَ فِيهِ، وَالَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ اللهِ وَإِفْرَادُهُ بِالعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ(٩).

---

(١) ينظر: المبدع (٥/١٧٤)، الإنصاف للمرداوي (٧/٧٩)، كشاف القناع (٤/٢٨٧).

(٢) ينظر: التاج والإكليل (٧/٦٦٤)، الشرح الكبير للدردير (٤/٩٣).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٤/٥٧٥).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧١)، تفسير النسفي (٣/١٥٨).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٨٥).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧١).

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٥٩).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٣/١٦٦)، تفسير القرطبي (٧/٣٤).

(٩) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٤/٥٧٦).

***

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أيْ: ذَلِكَ الْهُدَى الَّذِي دَانَ بِهِ هَؤُلاءِ الْأَنْبِيَاءُ ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ الَّذِي لَا هُدَى سِوَاهُ ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾.

﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: لَبَطَلَتْ جَمِيعُ أَعْمَالِهِمْ[١]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر:٦٥][٢].

وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لو أَشْرَكُوا لَحَبِطَتْ جَمِيعُ أَعْمَالِهِمْ، فَغَيْرُهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى، فَالْآيَةُ فِيهَا خُطُورَةُ الشِّرْكِ، وَأَنَّهُ مُحْبِطٌ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ[٣].

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:٨٩].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يُرِيدُ: الجِنْسَ، أي: الكُتُبَ كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَتَوْرَاةِ مُوسَى وَزَبُورِ دَاوُدَ وَإِنْجِيلِ عِيسَى ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ وَالحِكْمَةَ، أوْ فَهْمَ الكِتَابِ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ وَالرِّسَالَةَ وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ البَشَرِ[٤].

﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ أي: بِهَذِهِ الثَّلَاثِ، أَوْ بِآيَاتِ القُرْآنِ وَبِنُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أيْ: الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾ أيْ: وفَّقْنا لِلْإِيمَانِ بِهَا وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا[٦] ﴿قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ وَهُمْ كُلُّ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَامَ بِهَا إِيمَانًا،

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٦٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩٩).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٢٩).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٢٠).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٢٠).

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٥٩).

إِيْمَانًا، وَدَعْوَةً وَجِهَادًا ونُصْرَةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَيَدْخَلُ فِيهِمْ دُخُولًا أَوْلِيًّا أَصْحَابُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ وَكَّلَهُمُ اللَّهُ بِهَا(١).

وَفِي الْآيَةِ أَنَّ اللهَ "تَعَالَى سَيَنْصُرُ نَبِيَّهُ وَيُقَوِّي دِينَهُ، وَيَجْعَلُهُ مُسْتَعْلِيًا عَلَى كُلِّ مَنْ عَادَاهُ، قَاهِرًا لِكُلِّ مَنْ نَازَعَهُ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَكَانَ هَذَا جَارِيًا مَجْرَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ، فَيَكُونُ مُعْجِزًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(2).

***

## ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ أي: الأنبياءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ أي: فَبِطَرِيقَتِهِمُ اقْتَدِ وَاتَّبِعْ(٣)، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة النحل:١٢٣].

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَنَّ مُجَاهِدًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ: أَفِي (ص) سَجْدَةٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ تَلَا ﴿ووهبنا له إسحق﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] ثُمَّ قَالَ: هُوَ مِنْهُمْ(4). وفي رواية عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ أُمِرَ أَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ»(5).

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: عَلى تَبْلِيغِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴿أَجۡرًا﴾ أُجْرَةً أَوْ مَالًا، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٤](٦).

يوسف:١٠٤](٦).

﴿إِنۡ هُوَ﴾ مَا القُرْآنُ ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ﴾ أي: تَذْكِيرٌ وَعِظَةٌ ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ(٧)، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق:٤٥].

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (١٧١/٢)، تفسير القاسمي (٤٢٢/٤).

(٢) تفسير الرازي (٥٥/١٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٩٩/٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٢).

(٥) التخريج السابق.

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٩٩/٣).

(٧) ينظر: تفسير السمرقندي (٤٦٦/١)، تفسير الجلالين (ص١٧٧).

**مِنْهَا:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ أَنْبِيَاءَه وَرُسُلَهُ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَرَنَا بِأَنْ نَقْتَدِيَ بِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] أَيْ: اقْتَدُوا بِهُدَى هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ(١).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا مَا لَمْ يُنْسَخْ.

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ أَصَحُّ الرِّوَايَتَيْنِ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ(2)، وَهُوَ الرَّاجِحُ.

وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأَحْنَافِ(3) وَالْمَالِكِيَّةِ(4) وَبَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ(5).

**وَالْقَوْلُ الثَّانِي:** أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا لَيْسَ شَرْعًا لَنَا.

وَهُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ الشَّافِعِيَّةِ(6)، وَأَحْمَدَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ(7).

لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، فَفِيهَا اخْتِصَاصُ كُلِّ مِنَ الرُّسُلِ بِشَرِيعَةٍ.

**وَأُجِيبَ عَنْ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ** بِأَنَّ اشْتِرَاكَ الشَّرِيعَتَيْنِ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ لَا يَنْفِي اخْتِصَاصَ كُلِّ نَبِيٍّ بِشَرِيعَةٍ اعْتِبَارًا بِالْأَكْثَرِ، وَهُوَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، أَيْ: إِنَّ الشَّرِيعَتَيْنِ إِذَا اشْتَرَكَتَا فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ، وَاخْتَلَفَتَا فِي بَعْضِهَا صَحَّ أَنْ يَكُونَ شَرْعُ إِحْدَى الشَّرِيعَتَيْنِ شَرْعًا لِمَنْ بَعْدَهَا، بِاعْتِبَارِ الْبَعْضِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، وَصَحَّ أَنْ يَكُونَ لِكُلٍّ مِنَ النَّبِيِّينَ شِرْعَةٌ وَمِنْهَاجٌ، بِاعْتِبَارِ الْبَعْضِ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ تَنَافٍ، وَحِينَئِذٍ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [سورة المائدة:٤٨] لَا يَنْفِي كَوْنَ شَرْعِ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعًا لَنَا فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ(٨).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ اسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ قَالَ: أَخْذُ الْأَجْرِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لَا يَجُوزُ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ(9).

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٦٠).

(٢) ينظر: روضة الناظر (١/٤٥٧-٤٥٩).

(٣) ينظر: التقرير والتحبير (٢/٣٠٩).

(٤) ينظر: المنتقى شرح الموطأ (١/٤١ و٦/٨٠)، التقرير والتحبير (٢/٣٠٩).

(٥) ينظر: روضة الناظر (١/٤٥٩).

(٦) ينظر: طرح التثريب (٦/١٤٣)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول (ص٤٤١)، البحر المحيط (٨/٤٣).

(٧) ينظر: روضة الناظر (١/٤٥٩).

(٨) ينظر: شرح مختصر الروضة (٣/١٧٤ و١٧٧).

(٩) ينظر: الشرح الكبير على المقنع (٦/٦٣)، الإنصاف للمرداوي (٦/٤٥).

وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ يَجُوزُ[1]؛ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أَنَّ نَفَراً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؛ إِنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلاً لَدِيغًا؟ فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ[2]، فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا؟ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْراً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ»[3] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[4].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ مَنْ أَرَادَ الذِّكْرَى وَالْعِظَةَ وَالْمَوْعِظَةَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ تَدَبُّرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَالِاتِّعَاظِ بِهِ؛ لِقَولِهِ: ﴿هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٩٠][5].

***

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [سورة الأنعام:٩١].

﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾ أيْ: الْمُشْرِكُونَ ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أيْ: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، أَوْ مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ[6].

﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَاصَمُوهُ فِي إِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيهِ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ أي: مَا أَنزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَيَّ شَيءٍ مِنَ الْكُتُبِ وَالْوَحْيِ[7].

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/٢١٣).

(٢) أي: مجموعة من الغنم.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٧٣٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٢٧٦)، صحيح مسلم برقم (٢٢٠١).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٢).

(٦) ينظر: تفسير الماوردي (٢/١٤١)، زاد المسير لابن الجوزي (٢/٥٣-٥٤).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٠).

﴿قُلْ﴾ أَيُّها الرَّسُولُ لَهؤلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ﴾ أي: الْيَهُودَ[1] ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أيْ: أَوْرَاقًا مَكْتُوبَةً مُفَرَّقَةً[2] ﴿تُبْدُونَهَا﴾ أيْ: يُظْهِرُونَ مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مِمَّا يُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ كَنَعْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ[3].

﴿وَعُلِّمْتُم﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي لَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ فِي أَنَّهَا تَنْزِيلٌ رَبَّانِيٌّ[4].

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَقُلْ أَنْتَ: اللهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ[5].

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ بَاطِلِهِمْ[6] ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حَتَّى يُلَاقُوا يَومَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُوعَدُونَ بِالعَذَابِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الزخرف:٨٣][7].

***

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [سورة الأنعام:٩٢].

﴿وَهَٰذَا﴾ القُرْآنُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: كَثِيرٌ خَيْرُهُ وَمَنَافِعُهُ[8] ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قَبْلَهُ مِنَ الكُتُبِ[9].

---

(١) ينظر: فتح القدير (٢/١٦١).

(٢) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٤)، تفسير الزمخشري (٢/٤٤)، تفسير أبي السعود (٣/١٦١)، تفسير الجلالين (ص١٧٧).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٤).

(٤) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٤٢٦).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٦٧).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٢١)، تفسير الجلالين (ص١٧٧).

(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٤).

(٨) ينظر: جلاء الأفهام (ص٣٠٤).

(٩) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٥)، تفسير القرطبي (١٦/١٩١)، تفسير الجلالين (ص١٧٧).

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ أي: ولِتُخوِّف بِهِ[1] ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أيْ: أَهْلَ مَكَّةَ وَسَائِرَ النَّاسِ[2].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بِهَذَا الْقُرْآنِ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يُدَاوِمُونَ[3]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [سورة المعارج:٢٣]، فَلَا يَنْشَغِلُونَ عَنْهَا، وَيُؤَدُّونَهَا فِي وَقْتِهَا الْمُحَدَّدِ لَهَا شَرْعًا بِإِقَامَةِ أَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا[4].

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيهِ يَعودُ، تَكَلَّمَ بِهِ رَبُّنَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَقَدْ سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ (كَلَامَ اللَّهِ)، فَقَالَ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [سورة التوبة:٦]، فَلَيْسَ كَكَلَامِ الْبَشَرِ. وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَنْ وَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ كَكَلَامِ الْبَشَرِ بِالنَّارِ، فَفِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [سورة المدثر:٢٤-٢٦]، فَإِنْ كَانَ كَلَامُ الْبَشَرِ مَخْلُوقًا لَهُمْ، فَكَلَامُ اللهِ لَيْسَ مَخْلُوقًا لَهُ، إِنَّمَا هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ تَوَلَّى كِبْرَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ النُّفَاةُ للصِّفَاتِ[5].

**وَادِّعَاءُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ هُوَ جُرْمٌ عَظِيمٌ وَذَنْبٌ كَبِيرٌ، وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ:**

**أَوَّلًا:** أَنَّ هَذَا الِادِّعَاءَ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَرْتَبَةَ الْقَوْلِ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَوقَ مَرْتَبَةِ الشِّرْكِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٣٣].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص٦٣٩).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٧).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٦٨/٣).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٠١/٣).

(٥) ينظر: شرح الطحاوية (ص١٨١)، مجموع الفتاوى (١٤٤/٣).

**ثانيًا**: أَنَّهُ كَذِبٌ عَلَى اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [سورة الزمر:٦٠]، فَهُوَ مُتَوَعَّدٌ بِأَنْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ.

وَمَعْنَى افْتِرَاءِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ هَذَا: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتَكَلِّمًا، ثُمَّ تَكَلَّمَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا(١).

**ومِنْهَا**: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابٌ مُبَارَكٌ، وَقَدْ وُصِفَ بِالْبَرَكَةِ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ:

- هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سورة الأنعام:٩٢].
- وَفِي نَفْسِ السُّورَةِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام:١٥٥].
- وَفِي ثَالِثَةٍ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [سورة الأنبياء:٥٠].
- وَفِي رَابِعَةٍ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص:٢٩](٢).

وَالْبَرَكَةُ هِيَ هِيَ ثُبُوتُ الْخَيْرِ وَنُمُوُّهُ وَتَزَيُّدُهُ(٣)، وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ بَرَكَةَ الْقُرْآنِ عَامَّةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يُولِيَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى عِنَايَتَهُ، وَأَنْ يُفَرِّغَ لَهُ أَوْقَاتَهُ، وَأَنْ يَعْمُرَ بِهِ بَيْتَهُ، وَأَنْ يَمْلَأَ بِعِظَاتِهِ قَلْبَهُ، وَأَنْ يَشْرَحَ بِآيَاتِهِ صَدْرَهُ، وَأَنْ يُنِيرَ بِبَرَاهِينِهِ عَقْلَهُ، وَأَنْ يُعَلِّمَهُ نِسَاءَهُ وَأَوْلَادَهُ، فَلَا شَيْءَ يُنِيرُ لَهُمْ طَرِيقَ حَيَاتِهِمْ مِثْلَ الْقُرْآنِ، وَلَا ضَمَانَ لِمُسْتَقْبَلِهِمْ إِلَّا بِالْقُرْآنِ، فَهُوَ عِزُّهُمْ وَرِفْعَتُهُمْ وَغِنَاهُمْ وَقُوَّتُهُمْ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(٤).

---

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٣٧٩/١)، معارج القبول (٢٦٨/١)، تفسير القاسمي (٨١/٧).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٣٤٤/٦).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٦/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (١١٧/٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٨١٧).

***

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الأنعام:٩٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أيْ: لَا أَحَدَ أَشَدُّ ظُلْمًا[1] ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وَهُوَ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ كَذَّبَ اللهَ تَعَالَى، كَمَنِ ادَّعَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَا أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ، أَوِ ادَّعَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُ[2].

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كَمُسَيلَمَةَ الْكَذَّابِ ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أيْ: وَمَنِ ادَّعَى أَنَّهُ يُعارِضُ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ الوَحْيِ مِمَّا يَفْتَرِيهِ مِنَ القَوْلِ. وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [سورة الأنفال:٣١][3].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الْمَذْكُورُونَ ﴿فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ سَكَرَاتِهِ وَأَهْوَالِهِ وَشَدَائِدِهِ[4]، وَجَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيعًا[5] ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ إِلَيْهِمْ بِالضَّرْبِ وَالتَّعْذِيبِ، يَقُولُونَ لَهُمْ تَعْنِيفًا: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ﴾ إِلَيْنَا لِنَقْبِضَهَا[6]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [سورة الأنفال:٥٠][7].

---

(١) ينظر: بيان المعاني (٣/٣٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٦٩)، تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢).

(٥) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/٩٦)، تفسير الألوسي (٤/٢١١).

(٦) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٥)، تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٦٩)، تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢).

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الْعَذَابَ الشَّدِيدَ الَّذِي يُهِينَكُمْ وَيُخْزِيكُمْ[1] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْكَذِبِ بِادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَإِنْزَالِ مِثْلِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى[2].

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تَتَكَبَّرُونَ عَنِ اتِّبَاعِ آيَاتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهَا[3]، فَكَانَ مَا جُوزِيتُمْ بِهِ عَذَابَ الْهُونِ جَزَاءً وِفَاقًا، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ[4].

***

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة الأنعام:٩٤].

يُقَالُ لَهُمْ إِذَا بُعِثُوا لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ مُنْفَرِدِينَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ[5] ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أَيْ: حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا[6]. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الكهف:٤٨][7].

﴿وَتَرَكْتُمْ﴾ خَلَّفْتُمْ ﴿مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أَعْطَيْنَاكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: خَلْفَ ظُهُورِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ اخْتِيَارِكُمْ[8]، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [سورة التكاثر:١] قَالَ: يَقُولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!»[9] رَوَاهُ مُسْلِمٌ[10].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٨٢).

(٢) ينظر: فتح القدير (٢/١٦٠).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢).

(٤) ينظر: فتح القدير (٢/١٦٠).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢).

(٨) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٧٠)، تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٩) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٨).

(١٠) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢-٣٠٣).

وَيُقالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾ أَصْنَامَكُمْ ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: الَّذِينَ تَزْعُمُونَ كَذِبًا ﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ لِلَّهِ يَسْتَحِقُّونَ الْعِبَادَةَ(١).

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تَوَاصُلُكُمُ الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ فِي الدُّنْيا(٢).

﴿وَضَلَّ﴾ ذَهَبَ ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تَدَّعُونَ فِي الدُّنْيا مِنْ شَفاعَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ شُرَكاءُ للهِ تَعالَى(٣).

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ كُلَّ شَخْصٍ يُبْعَثُ يومَ الْقِيامَةِ فَرْدًا ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [سورة الأنعام:٩٤] لَا أَهْلَ، ولَا أَصْحَابَ، ولَا مالَ، ولَا مَنْصِبَ، فَلَيْسَ فِي رُفْقَةِ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَمَلَهُ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا، وَسيُحاسَبُ وَحْدَهُ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [سورة مريم:٩٥](٤).

**وَمِنْهَا:** تَبَرُّؤ الشُّرَكَاءِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ، وَالتَّخَلِّي عَنْهُمْ فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ وَأَشَدِّ الْأَزَمَاتِ؛ لِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ يَومِ الْقِيَامَةِ وَشَدَائِدِهِ، وَقَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمْ كُلُّ أَسْبَابِ التَّوَاصُلِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٦-١٦٧]، وقَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٢٥].

***

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٢) ينظر: تفسير الماوردي (٢/١٤٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٩/٦٠٦)، تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٥٠١)، أضواء البيان (٢/١٦).

﴿ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [سورة الأنعام:٩٥].

﴿ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ شَاقُّ ﴿ٱلۡحَبِّ﴾ عَنِ النَّباتِ كَالْحِنْطَةِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ ﴿وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ عَنِ النَّخْلِ(١).

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كَالإِنْسَانِ وَالطَّائِرِ مِنَ النُّطْفَةِ وَالبَيْضَةِ(٢).

﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ النُّطْفَةِ وَالبَيْضَةِ(٣).

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الْفَالِقُ الْمُخْرِجُ ﴿ٱللَّهُ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ مَعَ مَا تُشَاهِدُونَهُ مِنْ بَدِيعِ خَلْقِهِ وَعَجَائِبِ صَنْعِهِ(٤).

***

﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [سورة الأنعام:٩٦].

﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ أيْ: شَاقُّ عَمُودِ الصُّبْحِ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ(٥).

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ تَسْكُنُ فِيهِ الخَلْقُ مِنْ عَنَاءِ الْحَرَكَةِ وَتَهْدَأُ(٦)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [سورة يونس:٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة القصص:٧٣](٧).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١٧٠/٣)، تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (١١٧/٣)، تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٣) ينظر: فتح القدير (١٦٢/٢).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٥) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٦).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (١٦٤/٣).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٤٨٨/١).

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ بالنَّصْبِ عَطْفًا على مَحَلِّ اللَّيْلِ[1] ﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾ "أَيْ: يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَنَّنٍ مُقَدَّرٍ، لَا يَتَغَيَّرُ ولَا يَضْطَرِبُ، بَلْ كُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ مَنَازِلُ يَسْلُكُهَا فِي الصَّيْفِ والشِّتَاءِ، فَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ طُولًا وقِصَرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [سورة يونس:٥]، وكَمَا قَالَ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [سورة يس:٤٠]، وقَالَ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]"[2].

﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورُ ﴿تَقۡدِيرُ﴾ أي: إِيْجَادُ وتَنْظِيمُ[3] ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في مُلْكِهِ ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِهِ[4].

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:٩٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا﴾ أي: خَلَقَ اللهُ النُّجُومَ لِلاهْتِدَاءِ بِهَا ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أي: فِي السَّيْرِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [سورة النحل:١٦][5].

وهَذِهِ إِحْدَى مَنافِعِ النُّجُومِ الَّتِي خَلَقَها اللَّهُ لَهَا، وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [سورة الملك:٥]، وقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧﴾ [سورة الصافات:٦-٧][6].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٤)، تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٥).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير (٢/٩٥).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١١/٥٦١).

(٦) ينظر: فتح القدير (٢/١٦٣).

قَالَ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: "قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ"(1).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ الدَّلَالَاتِ عَلَى قُدْرَتِنَا(٢) ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يَتَدَبَّرُونَ وَيَتَأَمَّلُونَ(٣).

قَالَ السُّيُوطِيُّ: "هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي الْمِيقَاتِ، وَأَدِلَّةِ الْقِبْلَةِ"(4)اهـ. وَوَجْهُ **ذَلِكَ** أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ [سورة الأنعام:٩٧]، وَالْهِدَايَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْمَقَاصِدِ، وَالصَّلَاةُ مِنْ أَهَمِّ الْمَقَاصِدِ.

***

## ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام:٩٨].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ خَلَقَكُمْ ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هِيَ آدَمُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [سورة النساء:١].

﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ تَسْتَقِرُّونَ فِيهِ، وَهُوَ أَرْحَامُ النِّسَاءِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾. ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ تُحْفَظُونَ فِيهِ، وَهُوَ أَصْلَابُ الرِّجَالِ(٥).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ مَا يُقَالُ لَهُمْ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَ"الْفِقْهُ: تَدْقِيقُ النَّظَرِ، فَهُوَ أَلْيَقُ بِالِاسْتِدْلَالِ بِالْأَنْفُسِ لِدِقَّتِهِ بِخِلَافِ الِاسْتِدْلَالِ بِالْآفَاقِ، فَفِيهِ ظُهُورٌ، وَلِهَذَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾"(6).

***

(١) صحيح البخاري (٤/١٠٧).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٨).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٩).

(٤) الإكليل (ص١٢٠).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١١/٥٦٨)، تفسير الماوردي (٢/١٤٨).

(٦) جامع البيان للإيجي (ص٢٦٥).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٍ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ [سورة الأنعام:٩٩].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾ أي: بِهَذَا الْمَاءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٍ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ﴾ أيْ: مِنْ هَذَا النَّبَاتِ(١) ﴿خَضِرٗا﴾ أي: زَرْعًا وَشَجَرًا أَخْضَرَ رَطْبًا(٢).

﴿نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾ أي: وَنُخْرِجُ مِنْ ذَلِكَ الخَضِرِ حَبًّا مُتَراكِبًا بَعْضُهُ عَلى بَعْضٍ في سُنْبُلَةٍ واحِدَةٍ، كَسَنابِلِ الحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْأَرُزِ ونَحْوِهَا(٣).

وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالى مَا يَنْبُتُ مِنَ الحَبِّ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَا يَنْبُتُ مِنَ النَّوى، وَهُوَ القِسْمُ الثَّانِي، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ﴾ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ﴿مِن طَلۡعِهَا﴾ بَدَلٌ مِنَ النَّخْلِ(٤) ﴿قِنۡوَانٞ﴾ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَالْمَعْنَى: وَنُخْرِجُ مِنْ طَلْعِ النَّخْلِ وَهُوَ: مَا تَنْشَأُ فِيهِ عُذُوقُ الرُّطَبِ ﴿دَانِيَةٞ﴾ قَرِيبَةُ التَّنَاوُلِ(5).

﴿وَجَنَّٰتٖ﴾ أي: وَأَخْرَجْنَا بِهَذَا الْمَاءَ بَسَاتِينَ ﴿مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا﴾ فِي النَّظَرِ ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ فِي الطَّعْمِ(٦).

﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ نَظَرَ اعْتِبَارٍ ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أيْ: ثَمَرِ كُلِّ واحِدٍ مِن ذَلِكَ إذا أخْرَجَ ثَمَرَهُ، كَيْفَ يَكُونُ ضَئِيلًا ضَعِيفًا، لا يَكادُ يُنْتَفَعُ بِهِ(٧).

﴿وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ أيْ: وَإِلى حالِ يَنْعِهِ ونُضْجِهِ، كَيْفَ يَعُودُ شَيْئًا جامِعًا لِمَنافِعَ ومَلاذَّ(١).

---

(١) ينظر: الوجيز الواحدي (ص٣٦٧).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٩).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣٠٤/٢)، تفسير الجلالين (ص١٧٩).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (١٦٦/٣)، فتح القدير (١٦٤/٢).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٠٦/٣).

ولَمْ يَقُلْ: "ومِنها قِنْوانٌ بَعِيدَةٌ؛ لِأنَّ في الكَلامِ دَلِيلًا أنَّ البَعِيدَةَ السَّحِيقَةَ مِنَ النَّخْلِ قَدْ كانَتْ غَيْرَ سَحِيقَةٍ، واجْتُزِئَ بِذِكْرِ القَرِيبَةِ عَنْ ذِكْرِ البَعِيدَةِ، كَما قالَ عَزَّ وجَلَّ: {سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ} [النحل: ١٨]، ولَمْ يَقُلْ: وسَرابِيلَ تَقِيكُمُ البَرْدَ؛ لِأنَّ في الكَلامِ دَلِيلًا عَلى أنَّها تَقِي البَرْدَ، لِأنَّ ما يَسْتُرُ مِنَ الحَرِّ يَسْتُرُ مِنَ البَرْدِ. قاله الزجاج. ينظر: معاني القرآن (٢٧٥/٢).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٥٧/١٢)، تفسير القرطبي (٤٩/٧).

(٧) ينظر: تفسير الزمخشري (٥٢/٢)، تفسير القاسمي (٤٤٦/٤).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ دَلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى البَعْثِ وَغَيْرِهِ[٢] ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ المُنْتَفِعُونَ بِها[٣]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات:٥٥].

***

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٠٠].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ أي: صَيَّرُوا للهِ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مَفْعُولُ "جَعَلُوا" الثَّانِي، وَقَدَّمَهُ لِاسْتِعْظَامِ أَنْ يَتَّخِذَ للهِ شَرِيكًا ﴿الْجِنَّ﴾ هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ[٤]، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ جَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاءَ للهِ تَعَالَى فِي الْعِبَادَةِ حَيْثُ عَبَدُوهُمْ مَعَ اللهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة سبأ:٤١][٥].

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ حَالٌ بِتَقْدِيرِ: قَدْ، وَالمَعْنَى: وَالْحَالُ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ دُونَ الْجِنِّ، وَلَيْسَ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ[٦]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:١٧]، فَكَيْفَ يَكُونُون شُرَكَاءَ.

﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ أيْ: اخْتَلَقُوا وَنَسَبُوا[٧] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حَيْثُ قَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَالمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ[٨]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [سورة الزخرف:١٩].

---

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٥٢)، تفسير القاسمي (٤/٤٤٦).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٩).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٧٩).

(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٣/١٨٦).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٧)، تفسير القاسمي (٤/٤٤٨).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٥).

(٧) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٥٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/٢١٢١).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٧).

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ تَنْزَّهَ وَتَقَدَّسَ وَتَعَاظَمَ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: عَنِ الَّذِي يَصِفُونَهُ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ وَالْافْتِرَاءِ(١).

***

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:١٠١].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ هُوَ خَالِقُهُمَا وَمُبْدِعُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ(٢).

﴿أَنَّىٰ﴾ كَيْفَ ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ﴾ زَوْجَةٌ(٣)، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟ وَالوَلَدُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِن صاحِبَةٍ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ؟!(٤).

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ﴾ أَيْضًا وَمَنْ كَانَ خَالِقًا لِكُلِّ شَيءٍ فَكَيفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا(٥).

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ مَخْلُوقاتِهِ خَافِيَةٌ(٦).

***

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢].

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى المَوْصُوفِ بِمَا ذُكِرَ مِنَ الْأَوْصَافِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أَخْبارٌ أَرْبَعَةٌ مُتَرادِفَةٌ، أيْ: ذَلِكَ المَوْصُوفُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ العَظِيمَةِ هُوَ اللَّهُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ(٧).

﴿فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ مِن هَذِهِ الصِّفَاتِ العَظِيمَةِ شَيْءٌ(١).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٨).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٧٣).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٨)، تفسير النسفي (١/٥٢٦).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١١/١٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٢/٣٠٦).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٦)، فتح القدير (٢/١٦٨).

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٦٩).

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ حَفِيظٌ وَرَقِيبٌ؛ يُدَبِّرُ أُمُورَ خَلْقِهِ؛ وَيَتَوَلَّى جَمِيعَ شُؤُونِهِمْ[٢].

***

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣].

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أيْ: لا تُحِيطُ بِهِ.

﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ أي: وَهُوَ يُحِيطُ بِهَا وَيَعْلَمُهَا[٣].

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بِأَوْلِيائِهِ ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بِهِمْ[٤].

**وفِي الْآيَاتِ فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** أنَّ فِيهَا دَلِيلًا عَلَى دِقَّةِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى أَدْرَكَ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ وَالْخَفَايَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [سورة الأنعام:١٠٢-١٠٣]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [سورة الملك:١٣-١٤].

**وَمِنْهَا:** اسْتَدَلَّ الْمُعْتَزِلَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣] عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، قَالُوا: وَمُتَعَلِّقُ الْإِدْرَاكِ الْمَنْفِيِّ إِدْرَاكُ الْبَصَرِ، فَكَانَ ذَلِكَ ظَاهِرًا فِي نَفْيِ الرُّؤْيَةِ.

**وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْ ذَلِكَ** بِأَنَّ الْمَنْفِيَّ هُوَ الْإِحَاطَةُ، لَا مُطْلَقَ الْبَصَرِ، بِمَعْنَى أَنَّ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ لَا تَعْنِي أَنَّهُمْ يُحِيطُونَ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا أَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ بِرُؤْيَتِهِمْ لَهُ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ[٥].

---

(١) ينظر: فتح القدير (١٦٩/٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٠٩/٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٣/١٢).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٦٨)، تفسير الجلالين (ص١٨٠).

(٥) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية (٦٤٨/٢).

وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا التَّفْسِيرِ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ عَارَضَهُ سَائِلٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣] فقالَ لَهُ: أَلَسْتَ تَرَى السَّمَاءَ؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: أَتَرَاهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: لَا[1]، فَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ لَا يَقْتَضِي نَفْيَ الرُّؤْيَةِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣] قَالَ: "هُوَ أَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ، وَأَعْظَمُ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ"[2]، وَعَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِي فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَالَ: "هُمْ يَنْظُرونَ إِلَى اللَّهِ لَا تُحِيطُ أَبْصَارَهُمْ بِهِ مِنْ عَظَمَتِهِ، وَبَصَرُهُ يُحِيطُ بِهِمْ"[3].

فَإِذًا الْمَعْنَى أَنَّهُ يُرَى وَلَا يُدْرَكُ، وَلَا يُحَاطُ بِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّه: "فَقَولُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣] يَدُلُّ عَلَى غَايَةِ عَظَمَتِهِ، وَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ، وَأَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ لَا يُدْرَكُ بِحيثُ يُحَاطُ بِهِ، فَإِنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الْإِحَاطَةُ بِالشيءِ، وَهُوَ قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى الرُّؤيَةِ"[4].

**فَائِدَةٌ:** وَمَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِم يَومَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ الَّتِي تَضَافَرَتْ عَلَى إِثْبَاتُهَا دَلَائِلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَجْمَعُ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَيْهَا، حَيْثُ دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَونَ رَبَّهُمْ عِيَانًا لَا يُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ كَمَا لَا يُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

**فَمِنْ أَدِلَّةِ الْكِتَابِ** عَلَى الرُّؤيَةِ:

- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥]، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: "وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرونَهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ"[5].

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَا حَجَبَ أَعْدَاءَهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ فِي حَالِ السَّخَطِ دَلَّ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرونَهُ فِي حَالِ الرِّضَا، وَإِلَّا لَو كَانَ الْكُلُّ لَا يَرَى اللَّهَ تَعَالَى لَمَا كَانَ فِي عُقُوبَةِ الْكَافِرِينَ بِالْحَجْبِ فَائِدَةٌ؛ إِذ الْكُلُّ محجوبٌ.

- وَمِنْ أَدِلَّةِ رُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ يَومَ الْقِيَامَةِ أَيْضًا أَنَّ الرُّؤْيَةَ مِنَ الْمَزِيدِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُحْسِنِينَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق:٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَحْسَنُواْ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٢/٢٢).

(٢) ينظر: الدر المنثور (٣٣٥/٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٣/١٢).

(٤) حادي الأرواح (ص٢٩٤).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٥١/٨).

﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦]، وَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزِّيَادَةَ بِالرُّؤْيَةِ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ صُهيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ، فَيَقولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنْجِّنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦]»[1].

هَذَا مَا يَتعلَّقُ بِالْأَدِلَّةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يومَ الْقِيَامَةِ.

**أَمَّا أَحَادِيثُ السُّنَّةِ** فَقَدْ نَصَّ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ أَحَادِيثَ الرُّؤْيَةِ مُتواتِرَةٌ، وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ الْكَتَّانِيُّ فِي نَظْمِ الْمُتَنَاثِرِ[2]، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِيِّ[3]، وَالْعَيْنِيُّ فِي عُمْدَةِ الْقَارِي[4]، وَابْنُ حَزْمٍ فِي الْفِصَلِ[5]، وَابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي دَرْءِ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَغَيْرُهُمْ[6]، وَمِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ:

الْأَحَادِيثِ:

١- حَدِيثُ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يومَ الْقِيَامَةِ؟ فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»[7] رَواهُ مُسْلِمٌ.

وَمَعْنَى (تُضَارُّونَ) أَي: لَا يُزَاحِمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، أَوْ يَلْحَقُ بَعْضُكُمُ الضَّرَرَ بِبَعْضٍ بِسَبَبِ الرُّؤْيَةِ، وَتَشْبِيه رُؤْيَةِ الْبَارِي بِرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، لَيْسَ تَشْبِيهًا للمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ فِي وُضُوحِهَا وَجَلَائِهَا بِرُؤْيَةِ الْعِبَادِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ؛ إِذْ يَرونَهُمَا مِنْ غَيْرِ مُزَاحَمَةٍ وَلَا ضَرَرٍ[8].

٢- حَدِيثُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»[9] رَواهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٨١).

(٢) نظم المتناثر (ص٢٤١ وما بعدها).

(٣) فتح الباري (١/٢٠٣).

(٤) عمدة القاري (٢/١٥٧).

(٥) الفصل في الملل والنحل (٣/٣).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٢/٢٠٢).

(٧) صحيح مسلم برقم (١٨٢).

(٨) ينظر: معارج القبول (١/٣٦١).

(٩) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٥).

٣- حَدِيثُ صُهيبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ، فَيَقولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنْجِّنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦]» [(١)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤- حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدَنٍ» [(٢)] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أَمَّا الْإِجْمَاعُ فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيمِيَّةَ: "أَجْمَعَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرونَ اللَّهَ بِأَبْصَارِهِمْ فِي الْآخِرَةِ"[(٣)].

***

## ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [سورة الأنعام:١٠٤].

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ حُجَجٌ ظَاهِرَةٌ وَبَرَاهِينُ وَاضِحَةٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ فَمَنْ أَبْصَرَهَا فَآمَنَ ﴿فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ أَبْصَرَ؛ لِأَنَّ ثَوابَ إِبْصَارِهِ لَهُ[(٤)].

﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عَنْها فَضَلَّ ﴿فَعَلَيْهَا ۚ﴾ أي: فَعَلَى نَفْسِهِ وَبَالُ إِضْلَالِهِ[(٥)].

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَولِ اللهِ تَعَالَى ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ [سورة الإسراء:١٥]، وَقَولِهِ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت:٤٦][(٦)].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ بِرَقِيبٍ أُحْصِي عَلَيْكم أعْمالَكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى رِسَالَتَهُ وَهُوَ الحَفِيظُ عَلَيْكُمْ[(١)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٨٧٨)، صحيح مسلم برقم (١٨٠).

(٣) مجموع الْفَتَاوَى (٦/٥١٢).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٠).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٠).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣١٢).

***

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٠٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا بَيَّنَّا وَنَوَّعْنَا الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى ﴿نُصَرِّفُ﴾ نُبَيِّنُ وَنُنَوِّعُ ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ الشَّرْعِيَّةِ لِيَعْتَبِرُوا[٢].

﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ أَيْ: الْكُفَّارُ ﴿دَرَسْتَ﴾ دَرَسْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ مِنْهُمْ[٣]، وَهَذَا كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فَقَالَ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [سورة الفرقان:٤-٥][٤].

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ أَيْ: وَلِنُوَضِّحَ الْقُرْآنَ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فَإِنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهِ[٥]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء:٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٤][٦].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٧٥)، فتح القدير (٢/١٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٠).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣١٢).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣١٢).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٧).

(٦) ينظر: أضواء البيان (١/٤٩٠).

***

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٠٦].

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ(١)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية:١٨](٢).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ اعْتِرَاضٌ أُكِّدَ بِهِ اتِّبَاعُ الوَحْيِ(٣)، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فَلَا تَنْشَغِلْ بِهِمْ وَلَا تُبَالِ بِعِنَادِهِمْ، وَاحْتَمِلْ أَذَاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ تَعَالَى بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ(٤).

***

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۚ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٧].

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مَفْعُولُ (شَاءَ) مَحْذُوفٌ، أَيْ: وَلَوْ شَاءَ اللهُ إِيْمَانَهُمْ(٥) ﴿مَآ أَشۡرَكُواْۚ﴾ أي: مَا وَقَعَ مِنْهُمُ الشِّرْكُ.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ﴾ رَقِيبًا(٦)؛ تَحْصِي عَلَيهِمْ أَعْمَالَهُمْ(٧).

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ أَيْ: قَيِّمٌ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمُوَكَّلٌ عَلَى أُمُورِهِمْ(٨)، إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى(٩)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٢٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٢٦٧).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٢٨).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٥٩٨)، تفسير السعدي (ص٤٣٥)، تفسيرالألوسي (٤/٢٣٦).

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٢٩).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٧٦)، تفسير الجلالين (ص١٨٠).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣١٤)، أيسر التفاسير (٢/١٠٢).

(٨) ينظر: تفسير القرطبي (٧/٦٠).

(٩) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٢٥).

عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الغاشية:٢١-٢٢][1]، وَقَدْ بَلَّغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَتَرَكَهَا عَلَى مَحَجَّةٍ بَيْضَاءَ، لَيلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْوِيَةٌ لِقَلْبِهِ.

***

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٠٨].

﴿وَلَا تَسُبُّواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يَعْبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: الْأَصْنَامَ ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا﴾ اعْتِدَاءً وَظُلْمًا ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ أَيْ: جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللَّهِ[2].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا حَسَّنَّا لِهَؤُلَاءِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ﴿زَيَّنَّا﴾ أَيْ: حَسَّنَّا ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ[3] وَالْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ[4]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ [سورة فاطر:٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [سورة مُحَمَّد:١٤].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾ مَصِيرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيهِمْ بِهِ[5].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ الْعُلَمَاءُ: حُكْمُهَا بَاقٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَمَتَى كَانَ الْكَافِرُ فِي مَنَعَةٍ، وَخِيفَ أَنْ يَسُبَّ الْإِسْلَامَ أَوِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَسُبَّ صُلْبَانَهُمْ وَلَا دِينَهُمْ وَلَا كَنَائِسَهُمْ، وَلَا يَتَعَرَّضَ إِلَى مَا يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَعْثِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَعَبَّرَ عَنِ الْأَصْنَامِ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ بِـ(الَّذِينَ) عَلَى مُعْتَقَدِ الْكَفَرَةِ فِيهَا"[6] اهـ.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣١٤).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨١).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٧٧)، تفسير الجلالين (ص١٨١).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني (٢/١٣٥).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨١).

(٦) تفسير القرطبي (٧/٦١).

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** تَحْرِيمُ سَبِّ الْأَصْنَامِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى سَبِّ اللَّهِ تَعَالَى.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَصْلٌ فِي قَاعِدَةِ سَدِّ الذَّرَائِعِ، فَقَاعِدَةُ سَدِّ الذَّرَائِعِ الدَّلِيلُ الْأَصْلِيُّ لَهَا الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهَا هُوَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام:١٠٨]. وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ مِنَ الْآيَةِ وَاضِحٌ؛ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَى عَنْ سَبِّ الْأَصْنَامِ؛ إِذَا كَانَ عَابِدُوهَا يَسُبُّونَ اللَّهَ مُجَازَاةً عَلَى سَبِّ أَصْنَامِهِمْ، فَسَبُّ الْأَصْنَامِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مُبَاحٌ، فَإِذَا كَانَ ذَرِيعَةً لِسَبِّ اللَّهِ مُنِعَ بِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالذَّرِيعَةُ: مَا كَانَ وَسِيلَةً وَطَرِيقًا إِلَى الشَّيْءِ، لَكِنْ صَارَتْ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ عِبَارَةً عَمَّا أَفْضَتْ إِلَى فِعْلٍ مُحَرَّمٍ، وَلَوْ تَجَرَّدَتْ عَنْ ذَلِكَ الْإِفْضَاءِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَفْسَدَةٌ، وَلِهَذَا قِيلَ: الذَّرِيعَةُ: الْفِعْلُ الَّذِي ظَاهِرُهُ أَنَّهُ مُبَاحٌ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى فِعْلِ الْمُحَرَّمِ"(2).

وَقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "حَقِيقَتُهَا: التَّوَسُّلُ بِمَا هُوَ مَصْلَحَةٌ إِلَى مَفْسَدَةٍ"(3).

وَقَالَ الْقَرَافِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "سَدُّ الذَّرَائِعِ، وَمَعْنَاهُ: حَسْمُ مَادَّةِ وَسَائِلِ الْفَسَادِ، دَفْعًا لَهَا، فَمَتَى كَانَ الْفِعْلُ السَّالِمُ عَنِ الْمَفْسَدَةِ، وَسِيلَةً لِلْمَفْسَدَةِ: مَنَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ"(4).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ فِيهَا دَلِيلًا عَلَى قَاعِدَةِ اعْتِبَارِ الْمَآلَاتِ، فَاللَّهُ تَعَالَى مَنَعَ مِنْ سَبِّ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِكَيْلَا يَقُومُوا بِسَبِّ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: "وَالْفَقِيهُ مَنْ نَظَرَ فِي الْأَسْبَابِ وَالنَّتَائِجِ، وَتَأَمَّلَ الْمَقَاصِدَ"(٥).

وَقَالَ الشَّاطِبِيُّ: "وَالْأَشْيَاءُ إِنَّمَا تَحِلُّ وَتَحْرُمُ بِمَآلَاتِهَا"(٦).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ فِيهَا دَلِيلًا لِتَرْكِ الْمَصْلَحَةِ فِي سَبِيلِ دَفْعِ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الطَّاعَةَ إِذَا أَدَّتْ إِلَى مَعْصِيَةٍ رَاجِحَةٍ وَجَبَ تَرْكُهَا، فَإِنَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى الشَّرِّ شَرٌّ(٧).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ فِيهَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْخَصْمَ إِذَا شَافَهَ خَصْمَهُ بِجَهْلٍ وَسَفَاهَةٍ، لَمْ يَجُزْ لِخَصْمِهِ أَنْ يُشَافِهَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ(٨).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١٧٦/٣).

(٢) الفتاوى الكبرى (١٧٢/٦).

(٣) الموافقات (١٨٣/٥).

(٤) الفروق (٣٢/٢).

(٥) تَلْبِيس إِبْلِيس (ص٢٢٢).

(٦) الموافقات (٥٦٦/٣).

(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (١٧٧/٢).

(٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٦٢/٨).

وَمِنْهَا: أَنَّ فِيهَا تَأْدِيبًا لِمَنْ يَدْعو إِلَى الدِّينِ؛ لِئَلَّا يَتشاغَلَ بِمَا لَا فَائِدَةَ لَهُ فِي الْمَطْلُوبِ؛ لِأَنَّ وَصْفَ الْأَوْثَانِ بِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ لَا تَنفعُ وَلَا تَضرُّ يَكْفِي فِي الْقَدْحِ فِي إِلَهِيَّتِهَا، فَلَا حَاجَةَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى شَتْمِهَا)[1].

***

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٠٩].

﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ أيْ: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أيْ: غَايَةَ اجْتِهَادِهِمْ فِيهَا ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مِمَّا اقْتَرَحُوا[2]، كَقَولِهِمْ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الإسراء:٩٠-٩٣][3].

﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنَزِّلُهَا كَمَا يَشَاءُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِنْزَالِهَا، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ[4].

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: وَمَا يُدْرِيكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ[5] ﴿أَنَّهَآ﴾ أَي: الْآيَاتُ الْمُقْتَرَحَةُ ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ غَرَضُهُمُ الْهِدَايَةَ، إِنَّمَا غَرَضُهُمُ التَّحَكُّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، والتَّلاعُبُ بِآياتِ اللَّهِ[6].

***

(١) تفسير الرازي (١٣/١١٠).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨١).

(٣) ينظر: النكت في القرآن الكريم (ص٢١٨).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨١).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٤/٦١٤)، تفسير ابن كثير (٣/٣١٦).

(٦) ينظر: فتح القدير (٢/١٧٣).

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٠].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ أي: نَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَبولِ الْإِيْمَانِ فَلَا يَفْهَمُونَهُ ﴿وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ عَنْهُ فَلَا يُبْصِرُونَهُ ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: بِالْقُرْآنِ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1].

﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ نَتْرُكهُمْ ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَتَرَدَّدُونَ، فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْإِيْمَانِ[2].

**وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلَّ مَنْ يَشَاءُ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ بِيَدِهِ، وَفِي تَصْرِيفِهِ، فَيُقِيمُ مَا شَاءَ مِنْهَا، وَيَزِيغُ مَا أَرَادَ مِنْهَا، وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[3][4].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ[5].

**وَمِنْهَا:** قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "حَذَارِ حَذَارِ مِنْ أَمْرَيْنِ لَهُمَا عَوَاقِبُ سُوءٍ:

**أَحَدُهُمَا:** رَدُّ الْحَقِّ لِمُخَالَفَتِهِ هَوَاكَ، فَإِنَّكَ تُعَاقَبُ بِتَقْلِيبِ الْقَلْبِ، وَرَدِّ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ رَأْسًا، وَلَا تَقْبَلُهُ إِلَّا إِذَا بَرَزَ فِي قَالَبِ هَوَاكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام: ١١٠]، فَعَاقَبَهُمْ عَلَى رَدِّ الْحَقِّ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِأَنْ قَلَّبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

**وَالثَّانِي:** التَّهَاوُنُ بِالْأَمْرِ إِذَا حَضَرَ وَقْتُهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَهَاوَنْتَ بِهِ تَبَطَّكَ اللَّهُ، وَأَقْعَدَكَ عَنْ مَرَاضِيهِ وَأَوَامِرِهِ عُقُوبَةً لَكَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ

---

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (3/317)، تفسير الجلالين (ص181).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨١).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٨/٣٦٢).

(٥) جامع الترمذي برقم (٢١٤٠). وأخرجه أحمد في المسند برقم (١٢١٠٧)، وابن ماجه برقم (٣٨٣٤).

لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [سورة التوبة:٨٣]. فَمَنْ سَلِمَ مِنْ هَاتِينِ الْآفَتِينِ وَالْبَلِيَّتِينِ الْعَظِيمَتِينِ فَلْيَهْنَهُ السَّلَامَةُ"[(١)].

***

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١١].

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كَمَا اقْتَرَحُوا ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جَمَعْنَا[(٢)] ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ اقْتَرَحُوهُ ﴿قُبُلًا﴾ فَعَايَنُوهُ مُوَاجَهَةً[(٣)] ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إِيمَانَهُمْ، فَإِنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة يونس:٩٦-٩٧][(٤)].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذَلِكَ[(٥)]، فَلَا يَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى التَّوفِيقَ لِلهِدَايَةِ.

***

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كَمَا جَعَلْنا هَؤُلاءِ أعْداءَكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ ﴿شَيَاطِينَ﴾ مَرَدَةً ﴿الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[(٦)].

---

(١) بدائع الفوائد (٣/١٨٠-١٨١).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص181).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٣٣٥)، تفسير الخازن (٢/١٤٧).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣١٨)، فتح القدير (٢/١٧٤).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨١).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٢).

﴿يُوحِي﴾ يُوَسْوِسُ ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ تَحْسِينَ الْكَلَامِ وَتَمْوِيهَهُ ﴿غُرُورًا﴾ أَيْ: لِيَغُرُّوهُمْ وَيَخْدَعُوهُمْ)[1].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أَيْ: الْإِيحَاءَ الْمَذْكُورَ[2]، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى شَاءَ ذَلِكَ ابْتِلَاءً لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلَامُ.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ اِتْرُكْهُمْ[3] ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وَمَا يَخْتَلِقُونَهُ مِنْ كَذِبٍ[4].

**وَالْآيَةُ فِيهَا** أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي رُسُلِهِ وَفِي أَتْبَاعِهِ أَنْ جَعَلَ لَهُمْ أَعْدَاءً، وَهَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُحَارِبُونَ الرُّسُلَ، وَيُحَارِبُونَ أَتْبَاعَهُمْ، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ مَا يَلْقَاهُ مِنِ اعْتِدَاءٍ وَأَذًى مِنْ قَوْمِهِ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا خُصَّ بِهِ دُونَ سَائِرِ الرُّسُلِ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ دَرَجَ عَلَيْهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهِيَ سُنَّةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَوْلِيَائِهِ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا لَهُمْ لِيَتَمَيَّزَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْعَاقِلُ مِنَ الْجَاهِلِ، وَالْبَصِيرُ مِنَ الْأَعْمَى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِإِبْطَالِ كَيْدِ هَؤُلَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٣١][5].

***

## ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [سورة الأنعام:١١٣].

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ أَيْ: وَلِتَمِيلَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَيْ: الزُّخْرُفَ مِنَ الْقَولِ ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ قُلُوبُ[6] ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ بَعْدَ مَا أَصْغَتْ إِلَيهِ قُلُوبُهُمْ رَضُوهُ وَحَبَّوهُ، وَزُيِّنَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَصَارَ عِنْدَهُمْ عَقِيدَةً رَاسِخَةً وَصِفَةً لَازِمَةً[7].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٢)، نظم الدرر (٢٣٢/٧).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٥٣١/١)، تفسير الجلالين (ص١٨٢).

(٣) ينظر: فتح القدير (١٧٥/٢).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (١٩٣/٣).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٩).

(٦) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٧١)، تفسير النسفي (٥٣١/١)، تفسير ابن كثير (٣٢١/٣).

(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٩).

﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾ يَكْتَسِبُوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي[1]، وَهَذِهِ حَالَةُ الْمُغْتَرِّينَ بِشَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، أَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَغْتَرُّونَ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ الَّذِينَ يُزَيِّنُ بِهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ كَلَامَهُمْ، بَلْ تَنْصَرِفُ هِمَّتُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَإِظْهَارِهِ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْبَاطِلِ وَإِبْطَالِهِ[2].

***

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٤].

قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَيَحْكُمُونَ سِوَاهُ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾ أي: كَيفَ أَطْلُبُ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى ﴿حَكَمًا﴾ قَاضِيًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ القُرْآن[3].

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مُبَيِّنًا فِيهِ الحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى[4] ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: مُتَلَبِّسًا بِالحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شُبْهَةَ[5].

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشَّاكِّينَ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى[6]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: تَعَالَى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [سورة يونس:٩٤][7].

وَالْآيَةُ فِيهَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِيهِ بَيَانٌ وَتَفْصِيلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، فَفِيهِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفِيهِ بَيَانُ أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٨٠)، تفسير الجلالين (ص١٨٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٩).

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٧١)، تفسير البغوي (٣/١٨٠).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٢٢).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٧٧).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٢).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٢٢).

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:٨٩][(١)].

***

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام:١١٥].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: بَلَغَتِ الْغَايَةَ الْمَحْمُودَةَ فِي أَخْبَارِهِ وَأَحْكَامِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَإِيْجَازِهِ[(٢)] ﴿صِدْقًا﴾ فِي الْأَخْبَارِ ﴿وَعَدْلًا﴾ فِي الْأَحْكَامِ[(٣)].

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لَا أَحَدَ مُغَيِّرٌ لِمَا حَكَمَ بِهِ[(٤)]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [سورة الرعد:٤١].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فَلَا يَخْفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[(٥)].

***

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام:١١٦].

﴿وَإِن تُطِعْ﴾ أي: تَتَّبِعْ ﴿أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ أي: يَصُدُّوكَ ﴿عن سبيل اللهِ﴾ أي: عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى.

﴿إِن﴾ مَا ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الَّذِي لَا يُجْدِي شَيْئًا، وَلَا يَقُومُ أَبَدًا مَقَامَ الْحَقِّ[(٦)]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [سورة النجم:٢٨].

﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ[(١)].

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٤٧٢).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٧٩).

(٣) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٤٧٣).

(٤) ينظر: فتح القدير (٢/١٧٧).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٢٢)، تفسير السعدي (ص٦٣٥).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٤٥٩).

**وَفِي الْآيَةِ** خَطَأُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْكَثْرَةَ هِيَ مِعيارُ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّ الْقِلَّةَ هِيَ مِعيارُ الْبَاطِلِ والْخَطَأِ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ -وَإِنْ قَلَّ تَابِعُوهُ- لَا يُوزَنُ بِالنَّاسِ، وَإِنَّمَا يُوزَنُ النَّاسُ بِالْحَقِّ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَهَذَا نُوحٌ عَلَيهِ السَّلَامُ- مَكَثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود: ٤٠].

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً يَقولُ: إِنَّمَا أَنَا مَعَ النَّاسِ؛ إِنِ اهْتَدَوا اهْتَدِيتُ، وَإِنْ ضَلُّوا ضَلَلْتُ، أَلَا لِيُوطِّنَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ عَلَى إِنْ كَفَرَ النَّاسُ أَنْ لَا يَكْفُرَ"(3).

وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ قُتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِ مِثْلِ هَذَا، حَيْثُ قَالَ: "وَالنَّاسُ أَسْرَابُ طَيْرٍ، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَو ظَهَرَ لَهُمْ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ مَنْ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ لَوَجَدَ عَلَى ذَلِكَ أَتْبَاعًا وَأَشْيَاعًا"(٤).

***

## ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٧].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾ وَحْدَهُ ﴿أَعْلَمُ﴾ أيْ: عَالِمٌ ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عَنْ دِينِهِ(٥).

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ إِلَى دِينِهِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَسَيُجَازِي كُلًّا مِنهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ(٦).

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٥)، صحيح مسلم برقم (٢٢٠).

(٣) حلية الأولياء (١/١٣٦).

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص٦٢).

(٥) ينظر: تنوير المقباس (ص١١٨)، نظم الدرر (٧/٢٤٠)، تفسير الجلالين (ص١٨٢).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٨١)، تفسير أبي السعود (٩/١٢).

***

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأنعام:١١٨].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَتَى أُنَاسٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَأْكُلُ مَا نَقْتُلُ ولَا نَأْكُلُ مَا يَقْتُلُ اللَّهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّه ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأنعام:١١٨] إِلَى قَوْلِه: ﴿أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢١]» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: "حَسَنٌ غَرِيبٌ"[(١)].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ أي: كُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ على ذَبْحِهِ بقَولِ: (بِسمِ اللهِ)، لَا مِمَّا ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِهِ، أوْ ماتَ حَتْفَ أنْفِهِ[(٢)].

﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ أيْ: بأحْكامِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ والنَّواهِي الَّتِي مِنْ جُمْلَتِها الْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ[(٣)].

***

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۚ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام:١١٩].

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ أي: أيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مَا ذَكَّيْتُمْ، وذَكَرْتُمْ عَلَيْهِ اسْمَ اللَّهِ؟

وَالْحَالُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ﴾ أي: بَيَّنَ ووَضَّحَ ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ في آيَةِ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [سورة الأنعام:١٤٥][(٤)].

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٠٦٩).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٠).

(٣) ينظر: فتح القدير (٢/١٧٨).

(٤) ينظر: أضواء البيان (١/٤٩١).

﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ مِنْهُ بِسَبَبِ شِدَّةِ الْمَجَاعَةِ فَهُوَ أَيْضًا حَلَالٌ لَكُمْ[1]، كَمَا قَالَ اللهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة المائدة:٣][2].

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا﴾ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ ﴿بِأَهۡوَآئِهِم﴾ بِمَا تَهْوَاهُ أَنْفُسَهُمْ مِنْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى أَوْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ تَعَالَى، كَتَحْلِيلِ الْمَيْتَةِ وَتَحْرِيمِ الْبَحِيرَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَغَيْرِهَا ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ يَعْتَمِدُونَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا بَصِيرَةٍ وَلَا نَظَرٍ[3].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ أي: الْمُتَجَاوِزِينَ لِحُدُودِ الْحَقِّ وَالْحَلَالِ إِلَى الْبَاطِلِ وَالْحَرَامِ[4].

***

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٠].

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥۚ﴾ أي: اتْرُكُوا جَمِيعَ الْمَعَاصِي فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ[5].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾ سواء كَانَ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا[6].

﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ يَكْتَسِبُونَ[7].

***

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢١].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (١٣/١٢٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧١).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٣).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/١٨٠)، تفسير القاسمي (٤/٤٧٦).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥١٧)، تفسير السعدي (ص٢٧١).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٢٣).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٨٣)، تفسير الجلالين (ص١٨٣).

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ﴾ أيْ: الأكْلُ منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خُرُوجٌ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى(١).

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ مِنْ مَرَدَةِ الْجِنِّ ﴿لَيُوحُونَ﴾ يُوَسْوِسُونَ ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ فِي تَحْلِيلِ الْمَيْتَةِ(٢).

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فِي تَحْلِيلِهَا ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فَإِنَّ اتِّبَاعَ غَيْرِ اللهِ فِي الدِّينِ شِرْكٌ(3).

شِرْكٌ(3).

**وَفِي الْآيَاتِ فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** وُجُوبُ ذِكْرِ اسمِ اللهِ عَلَى بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ عِنْدَ تَذْكِيَتِهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام:١١٨](٤).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَصَّلَ لِعِبَادِهِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَهُ وَوَضَّحَهُ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ إِشْكَالٌ وَلَا شُبْهَةٌ، وَأَنَّ تَفْصِيلَ ذَلِكَ جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام:١١٩] تَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ عَظِيمٍ وَقَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الْكُلِّيَّةِ؛ إِذْ تَدُلُّ بِمَفْهُومِهَا عَلَى أَنَّ مَا لَمْ يُذْكَرْ تَحْرِيمُهُ فَهُوَ حَلَالٌ. قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: "وَالتَّفْصِيلُ: التَّبْيِينُ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ بَيَّنَ الْمُحَرَّمَاتِ، فَمَا لَمْ يُبَيِّنْ تَحْرِيمَهُ فَلَيْسَ بِمُحَرَّمٍ، وَمَا لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ فَهُوَ حَلَالٌ، إِذْ لَيْسَ إِلَّا حَلَالٌ أَوْ حَرَامٌ"(5)، وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى قَاعِدَةِ "الْأَصْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الْإِبَاحَةُ"(6).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام:١١٩] تَدُلُّ أَيْضًا عَلَى قَاعِدَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَهِيَ قَاعِدَةُ: (الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ الْمَحْظُورَاتِ)، وَهِيَ قَاعِدَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَمَعْنَاهَا "أَنَّ الْمُحَرَّمَ يُصْبِحُ مُبَاحًا إِذَا عَرَضَ لِلْمُكَلَّفِ ضَرُورَةٌ تَقْتَضِي ذَلِكَ، بِحَيْثُ لَا تَنْدَفِعُ تِلْكَ الضَّرُورَةُ إِلَّا بِارْتِكَابِ ذَلِكَ الْمُحَرَّمِ، كَمَا إِذَا اشْتَدَّ الْجُوعُ بِالْمُكَلَّفِ وَخَشِيَ الْهَلَاكَ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٣).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٧/٧٧)، نظم الدرر (٧/٢٤٧)، فتح القدير (٢/١٨٠).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٣)، تفسير السعدي (ص٢٧١)

(٤) ينظر: أيسر التفاسير (٢/١١٢).

.

(٥) مجموع الفتاوى (٢١/٥٣٦).

(٦) ينظر: التبصرة في أصول الفقه (ص٥٣٥)، البحر المحيط (٨/١٠).

لَهُ أَكْلُ الْمَيْتَةِ، وَنَحْوِهَا، وَفِي مَعْنَى هَذَا -أَيْضًا- سُقُوطُ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، أَوْ تَخْفِيفِهَا بِسَبَبِ الضَّرُورَةِ، وَيُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَاعِدَةُ (لَا وَاجِبَ مَعَ عَجْزٍ، وَلَا حَرَامَ مَعَ ضَرُورَةٍ)"[1].

**وَمِنْهَا:** وُجُوبُ تَرْكِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٠].

**وَمِنْهَا:** تَحْرِيمُ أَكْلِ مَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، كَالْمَيْتَةِ وَمَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ وَالْجِنِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [سورة الأنعام:١٢١][2].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ التَّشْرِيعَ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَه، وَلَا يُطَاعُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ التَّشْرِيعَاتِ عَنِ اللهِ، فَمَنْ أَطَاعَ أَحَدًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فِي التَّشْرِيعِ، فَإِنَّهُ قَدْ اتَّخَذَهُ شَرِيكًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ[3].

***

**﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢].**

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بِالْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْمَعَاصِي ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ أي: فَأَحيَا اللهُ تَعَالَى قَلْبَهُ بِالْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالطَّاعَةِ[4].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يَتَبَصَّرُ بِهِ الحَقَّ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيْمَانِ وَالْقُرْآنِ[5]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى:٥٢].

---

(١) ينظر: القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير (١/٣٨٩).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٨٣)، تفسير ابن عطية (٢/٣٤٠).

(٣) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/١٣١).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧١)، فتح القدير (٢/١٨١).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٣).

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ أيْ: كَمَنْ هُوَ ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْمَعَاصِي[1] ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ لَا يُفَارِقُهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْخَلَاصَ مِنْهَا[2]، وَهُوَ الْكَافِرُ؟ لَا[3].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا زَيَّنَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْمَعَاصِي[4].

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢][5].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ النُّورَ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيهِ الْمُؤْمِنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢] إِنَّمَا هُوَ نُورُ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [سورة الزمر:٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحديد:٢٨][6].

وَيُحْرَمُ مِنْهُ الْكَافِرُ وَالْجَاهِلُ وَالعَاصِي؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور:٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [سورة الحديد:١٣].

***

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧١).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٣٤).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٣). و(لا) هنا جواب للسؤال الوارد في الآية: (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٧٣)، تفسير الجلالين (ص١٨٣).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/١٥٥).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٩٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلْنا رُؤَسَاءَ ودُعَاةً إِلَى الْكُفْرِ فِي مَكَّةَ ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ بالصَّدِّ عَنِ الْإِيْمَانِ وَالدَّعْوةِ إِلَى الضَّلَالَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة سبأ:٣١-٣٣][(١)].

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لِأَنَّ ضررَهُ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ[(٢)]؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [سورة فاطر:٤٣] ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذَلِكَ[(٣)].

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ فيهَا تَسْلِيَةً للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَتَقْوِيَةً لِقَلْبِهِ، وَتَثْبِيتًا لَهُ، وَلِلعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَكَمَا جَعَلْنَا فِي مَكَّةَ -يَا مُحَمَّدُ- أَكَابِرَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، ورُؤَسَاءَ ودُعَاةً إِلَى الْكُفْرِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، كَذَلِكَ كَانَتِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ يُبْتَلون بِذَلِكَ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٣١][(٤)].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٣١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٧/٧٩).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (١٣/١٣٥)، تفسير الجلالين (ص١٨٣)، أيسر التفاسير (٢/١١٣).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٣١).

وَمِنْهَا: أَنَّ أَكَابِرَ الْمُجْرِمِينَ وَدُعَاةَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ إِنَّمَا يَمْكُرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَمَكْرُهُمْ وَكَيْدُهُمْ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ[1]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت:١٣]، وقَالَ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النحل:٢٥].

***

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٤].

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي: هؤلاءِ الأَكَابِرَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، والرُّؤَسَاءِ والدُعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ءَايَةٌ﴾ أي: حُجَّةٌ على صِدْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ بِهِ ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ﴾ أي: حَتَّى يُعْطِينَا اللهُ تَعَالَى ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ أي: مِثْلَ مَا أُعْطِيَ رُسُلُ اللهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ[2].

وَإِنَّمَا قَالُوهَا حَسَدًا مِنْهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ بِقَولِهِ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ أَيْ: إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَجْعَلَهُ رَسُولًا، وَيَكُونُ مَوْضِعًا لَهَا وَأَمِينًا عَلَيْهَا، وَقَدِ اخْتَارَ أَنْ يَجْعَلَ الرِّسَالَةَ فِي مُحَمَّدٍ صَفِيِّهِ وَحَبِيبِهِ[3]، كَمَا رَوى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِن بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِن بَنِي هَاشِمٍ»[4]، فَدَعَوا طَلَبَ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكُمْ[5].

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢/٣١٩)، تفسير البغوي (٣/١٨٥).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٨٥)، تفسير السعدي (ص٢٧١).

(٣) ينظر: فتح القدير (٢/١٨١).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٦).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٨١).

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ بِقَوۡلِهِمۡ ذَلِكَ ﴿صَغَارٞ﴾ ذُلٌّ وَهَوَانٌ[1] ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ أيْ: بِسَبَبِ مَكْرِهِمْ[2].

***

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٥].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ بِأَنْ يَقْذِفَ فِي قَلْبِهِ نُورًا، فَيَنْفَسِحَ صَدْرُهُ، وَيَنْشَرِحَ لِقَبُولِ الْإِسْلَامِ[3]؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزمر:٢٢].

﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ اللَّهُ ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ عَنْ قَبُولِ الْإِسْلَامِ ﴿حَرَجٗا﴾ شَدِيدَ الضِّيقِ[4] ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ أي: يَشُقُّ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ صُعُودُ السَّمَاءِ[5].

﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾ الْعَذَابَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

وَلِلْعَلَّامَةِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَلَامٌ نَفِيسٌ حَوْلَ هَذِهِ الْآيَةِ أَذْكُرُهُ بِنَصِّهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "وَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ مَحِلًّا لِلْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْإِنَابَةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ إِنَّمَا تَدْخُلُ فِي الْقَلْبِ إِذَا اتَّسَعَ لَهَا، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَةَ عَبْدٍ وَسَّعَ صَدْرَهُ، وَشَرَحَهُ، فَدَخَلَتْ فِيهِ وَسَكَنَتْهُ، وَإِذَا أَرَادَ ضَلَالَهُ ضَيَّقَ صَدْرَهُ وَأَحْرَجَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَحَلًّا يَدْخُلُ فِيهِ، فَيَعْدِلُ عَنْهُ وَلَا يُسَاكِنُهُ، وَكُلُّ إِنَاءٍ فَارِغٍ إِذَا دَخَلَ فِيهِ الشَّيْءُ ضَاقَ بِهِ، وَكُلَّمَا أَفْرَغْتَ فِيهِ الشَّيْءَ ضَاقَ إِلَّا الْقَلْبَ اللَّيِّنَ، فَكُلَّمَا أُفْرِغَ فِيهِ الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ اتَّسَعَ وَانْفَسَحَ. وَهَذَا مِنْ آيَاتِ قُدْرَةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٨٦).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٣)، تفسير أبي السعود (٣/١٨٣).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٤).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٧٤)، تفسير الجلالين (ص١٨٤).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٨٧).

وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ النُّورُ قَلْبَهُ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ، قَالُوا: فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلمَوتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»[1]. فَشَرْحُ الصَّدْرِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْهُدَى، وَتَضْيِيقُهُ مِنْ أَسْبَابِ الضَّلَالِ، كَمَا أَنَّ شَرْحَهُ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ، وَتَضْيِيقُهُ مِنْ أَعْظَمِ النِّقَمِ، فَالْمُؤْمِنُ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ، مُنْفَسِحٌ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَلَى ما نَالَهُ مِنْ مَكْرُوهِهَا، وَإِذَا قَوِيَّ الْإِيمَانُ وَخَالَطَتْ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ كَانَ عَلَى مَكَارِهِهَا أَشْرَحُ صَدْرًا مِنْهُ عَلَى شَهْوَتِهَا وَمَحَابِّهَا، فَإِذَا فَارَقَهَا كَانَ انْفِسَاحُ رُوحِهِ وَالشَّرْحُ الْحَاصِلُ له بِفِرَاقِهَا أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ، كَحَالِ مَنْ خَرَجَ مِنْ سِجْنٍ ضيقٍ إِلَى فَضَاءٍ وَاسِعٍ مُوَافِقٍ لَهُ فَإِنَّهَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، فَإِذَا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَأَى مِن انْشِرَاحِ صَدْرِهِ وَسَعَتِهِ مَا لَا نِسْبَةَ لَمَا قَبْلَهُ إِلَيْهِ، فَشَرْحُ الصَّدْرِ كَمَا أَنَّهُ سَبَبُ الْهِدَايَةِ فَهُوَ أَصْلُ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ، وَقَدْ سَأَلَ كَلِيمُ الرَّحْمَنِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ رَبَّهُ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ صَدْرَهُ؛ لِمَا عِلْمِ أَنَّهُ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِأَعْبَائِهَا إِلَّا إِذَا شَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَقَدْ عَدَّدَ سُبْحَانَهُ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ شَرْحَ صَدْرِهِ لَهُ، وَأَخْبَرَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَنَّهُ شَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلإِسْلَامِ"[2] اهـ.

***

## ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٦].

﴿وَهَٰذَا﴾ الدِّينُ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ ﴿صِرَٰطُ﴾ طَرِيقُ ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لَا عِوَجَ فِيهِ[3]، فَالْزَمْهُ وَاسْلُكْهُ، وَادْعُ إِلَيهِ؛ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْفَوزِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَ(مُسْتَقِيمًا) حَالٌ مُؤَكِّدٌ لِلجُمْلَةِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ اسْمُ الْإِشَارَةِ[4].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أَيْ: يَتَّعِظُونَ، وخُصُّوا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهَا[5].

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات برقم (٣٢٦) وقال: هذا منقطع.

(٢) شفاء العليل (ص١٠٦-١٠٧).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٨٧/٣).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٨٢/٢)، تفسير الجلالين (ص١٨٤).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٤).

***

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة الأنعام:١٢٧].

﴿لَهُمْ﴾ أيْ: لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَهِيَ الجَنَّةُ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يَوْمَ الْقِيامَةِ(١).

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ مُحِبُّهُمْ، أَوْ نَاصِرُهُمْ عَلَى أَعْدائِهِمْ(٢) ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ أَعْمالِهِمُ الصَّالِحَةِ(٣)، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ.

***

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:١٢٨].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أيْ: وَاذْكُرْ يومَ يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴿جَمِيعًا﴾ .

ثُمَّ يَقولُ اللهُ تَعَالَى لِلجِنِّ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: الشَّياطِينَ ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي: قَدْ أَضْلَلْتُمْ كَثِيرًا مِنَ الْإِنْسِ(٤)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يس:٦٢](٥).

---

(١) ينظر: فتح القدير (١٨٣/٢).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٥٣٦/١).

(٣) ينظر: تفسير الألوسي (٢٦٧/٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٥٥٥/٩).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٣٨/٣).

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي: وَقَالَ الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ مِنْ كُفَّارِ الْإِنْسِ: ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انْتَفَعَ الْإِنْسُ بِتَزْيِينِ الْجِنِّ لَهُمْ الشَّهَوَاتِ، وَانْتَفَعَ الْجِنُّ بِطَاعَةِ الْإِنْسِ لَهُمْ(١).

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ بِانْقِضَاءِ حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، وَوُصُولِنَا إِلَى دَارِ الجَزَاءِ، وَهَذَا تَحَسُّرٌ مِنهُمْ(٢).

﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُمْ عَلَى لِسَانِ المَلَائِكَةِ: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ مَوْضِعُ مُقَامِكُمْ(٣).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مَعْنَاهُ -واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ-: إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ عَدَمَ خُلُودِهِ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ مِنَ المُوَحِّدِينَ(٤).

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ(٥).

***

## ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ أَيْ: كَمَا وَلَّيْنَا شَيَاطِينَ الْجِنِّ عَلَى إِضْلَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْإِنْسِ، كَذَلِكَ نُوَلِّي وَنُسَلِّطُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ مِنَ الْإِنْسِ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِن المَعَاصِي(٦).

وَالْآيَةُ فِيهَا أَنَّ مِنْ السُّنَنِ الْكَوْنِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَحَوَّلُ أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا فَشَا فِيهَا الظُّلْمُ وَالْمَعَاصِي الظَّاهِرَةُ، وَقَلَّ الْإِنْكَارُ لَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُسَلِّطُ عَلَى النَّاسِ مَنْ يُضَيِّقُ عَلَيْهِمْ فِي عَيْشِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ، وَيَضْرِبُ عَلَيْهِمُ الْمَشَقَّةَ وَالْعَنَتَ فِي حَيَاتِهِمْ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى:٣٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٥٣٧/١)، تفسير الجلالين (ص١٨٤).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (١٨٥/٣)، تفسير الجلالين (ص١٨٤)، التحرير والتنوير (٧٠/١٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٨٤/٧)، فتح القدير (١٨٤/٢).

(٤) ينظر: النكت في القرآن (٢٢٢/١)، دفع إيهاد الاضطراب (ص٩٣).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٤).

(٦) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣٢٣/٢)، تفسير البغوي (١٨٩/٣)، تفسير القرطبي (٨٥/٧)، تفسير ابن كثير (٣٣٩/٣).

عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [سورة الروم:٤١]، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]، وهَذِهِ سُنَّةٌ إِلَهِيَّةٌ فِي تَسْلِيطِ الظَّالِمِينَ بَعْضهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٩].

***

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ **[سورة الأنعام:١٣٠].**

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ فِي الدُّنْيا ﴿يَقُصُّونَ﴾ يَتْلُونَ ﴿عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى بَيَانِ الْأَمْرِ وَالنَّهيِ، وَالْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ(١).

﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ﴾ يُخَوِّفُونَكُمْ(٢) ﴿لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ القِيامَةِ(٣).

﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ أي: أَقْرَرْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِوُجُوبِ الْحُجَّةِ عَلَيْنا، وتَبْلِيغِ الرُّسُلِ إِلَيْنَا(٤).

﴿وَغَرَّتۡهُمُ﴾ أي: خَدَعَتْهُمْ(٥) ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ(٦).

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٤٩٣)، تفسير السعدي (ص٢٧٣).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٥/٢٨٤).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٩٠).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٣٨)، تفسير ابن كثير (٣/٣٤١).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٧/٨٧).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٦٢).

وَاحْتُجَّ بِهذِهِ الْآيَةِ أَنَّ فِي الْجِنِّ رُسُلًا؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [سورة الأنعام:١٣٠]، وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِهَا أَنَّ اللهَ خَاطَبَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ بِأَنَّهُ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رُسُلاً مِنْهُمَا، بِدَلِيلِ قولِهِ تَعَالَى: ﴿مِّنكُمۡ﴾، وَهُوَ يَقْتَضِي بَعْثَ الرُّسُلِ إِلَى الْجِنِّ مِنْهُمْ، وَبَعْثَ الرُّسُلِ إِلَى الْإِنْسِ مِنْهُمْ كَذَلِكَ، وَهَذَا الْقولُ اخْتَارَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ(١).

وَ**الصَّوابُ أَنَّ** الرُّسُلَ إِنَّمَا هُمْ مِنَ الْإِنْسِ فَقَطْ، وَهُوَ قَولُ جَمَاهِيرِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ ومن أدلتهم:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [سورة النساء:١٦٣] إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [سورة النساء:١٦٥].

وقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [سورة العنكبوت:٢٧]، فَحَصَرَ النُّبُوَّةَ والْكِتَابَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ. ولَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ: إِنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ فِي الْجِنِّ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ بِبَعْثَتِهِ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [سورة الفرقان:٢٠]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [سورة يوسف:١٠٩]. ومَعْلُومٌ أَنَّ الْجِنَّ تَبَعٌ لِلْإِنْسِ فِي هَذَا الْبَابِ، لَكِنْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ نُذُرٌ يَسْمَعُونَ كَلَامَ الرُّسُلِ، فَيُبَلِّغُونَهُ إِلَى قَوْمِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾ [سورة الأحقاف:٢٩-٣٢] )2(.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١٩٠/٣)، تفسير ابن عطية (٣٤٦/٢-٣٤٧)، زاد المسير (٧٩/٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٤٠/٣).

***

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أيْ: الْإِعْذَارُ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ أي: لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لَمْ يُنْذَرُوا، ولَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ[1].

**وفي الآية فائدتان:**

**أحدها:** أَنَّ فِيهَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُهْلِكُ الْقُرَى إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيهِمْ، وَارْتِفَاعِ الْغَفْلَةِ عَنْهُمْ بِذَلِكَ، وَتَحَقُّقِ الْإِنْذَارِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:١٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [سورة الملك:٨-٩]، والْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ[2].

**والثانية:** أَنَّ فِيهَا دَلِيلًا أَيْضًا عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُهْلِكُ الْقُرَى إِلَّا بِسَبَبِ ظُلْمِ أَهْلِهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [سورة النمل:٥٢].

***

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٢].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ مَرَاتِبُ ومَنَازِلُ ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ[3].

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بَلْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيهِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيهِ مِنْهُ خَافِيَةٌ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأحقاف:١٩][1].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٩٠).

(٢) ينظر: جامع المسائل لابن تيمية (٥/٤٧-٤٨).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٦٤)، تفسير ابن كثير (٣/٣٠٦).

***

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِف مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٣].

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ وَعِبَادَتِهِمْ(٢) ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بِإِهْلَاكِكُمْ.

﴿وَيَسْتَخْلِف مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ مِنَ الخَلْقِ ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي: كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَسْلِ خَلْقٍ آخرينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ(٣).

وَ**الْآيَةُ فِيهَا** قُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةُ عَلَى هَلَاكِ الْخَلقِ كُلِّهِمْ، وَاسْتِخْلَافِ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَمْتَثِلُونَ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [سورة النساء:١٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة فاطر:١٥-١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [سورة محمد:٣٨].

***

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٤].

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوتِ والعَذاب(٤) ﴿لَـَٔاتٍۖ﴾ وَلَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ لَا مَحالَةَ(٥) ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بِفَائِتِينَ(٦).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٨٧/٧)، فتح القدير (١٨٦/٢).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٨٨/٧)، تفسير ابن كثير (٣٤٢/٣)، تفسير الجلالين (ص١٨٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥٨١/٧)، تفسير النسفي (١٨٧/٣).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٨٣/٢)، تفسير النسفي (٥٣٩/١).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (١٨٣/٢)، تفسير ابن كثير (٣٤٣/٣).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (١٩١/٣).

وَفِي الْآيَةِ صِدْقُ وَعْدِ اللهِ تَعَالَى وَعَدَمُ تَخَلُّفِهِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [سورة الحج:٤٧].

***

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٥].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ طَرِيقَتِكُمْ[1] ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ عَلَى طَرِيقَتِي الَّتِي أَمَرَنِي بِهَا رَبِّي جَلَّ وَعَلا[2].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حِينَ تَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ[3].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ يَسْعَدُ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الْكَافِرُونَ[4]، و"وضَعَ الظَّالِمِينَ مَوْضِعَ الكافِرِينَ؛ الكافِرِينَ؛ لِأَنَّهُ أعَمُّ وأكْثَرُ فائِدَةً"[5].

(١) ينظر: تفسير الماوردي (١٧٢/٢)، تفسير ابن كثير (٣٤٣/٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٤٣/٣).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٩٢/٣).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٥).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (١٨٣/٢).

***

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦].

﴿وَجَعَلُواْ﴾ أيْ: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خَلَقَ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ أي: مِنَ الزَّرْعِ وَالثِّمَارِ[1] ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴿نَصِيبًا﴾ حَظًّا يَصْرِفُونَهُ إِلَى الضُّيوفِ وَالْمَسَاكِينِ، وَلِأَصْنَامِهِمْ حَظًّا آخرَ يَصْرِفُونَهُ إِلَى سَدَنَتِهَا[2].

﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ﴾ أي: هَذَا الْحَظُّ وَالنَّصِيبُ للهِ نَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيهِ[3] ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ حَسَبَ دَعْوَاهُمُ الْكَاذِبَةُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَا طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَا شَرَعَهُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى اللهِ تَعَالَى[4] ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ وَنَحْوِهَا.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ أَي: فَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الزُّرُوعِ وَالْأَنْعَامِ مِنْ الْقِسْمِ الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى شُرَكَائِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَحْرِمُونَ الضُّيُوفَ وَالْمَسَاكِينَ مِنْهُ، وَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْقِسْمِ الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يَجُورُونَ عَلَيْهِ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ مَا يَعْطُونَهُ لِأَصْنَامِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ، وَعَلَّلُوا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ، وَهِيَ مُحْتَاجَةٌ[5].

﴿سَآءَ﴾ بِئْسَ وَقَبُحَ ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حُكْمُهُمْ وَقِسْمَتُهُمْ هَذِهِ حَيثُ آثَرُوا آلِهَتَهُمْ[6].

وَ**الْآيَةُ فِيهَا** بَيانُ سَفَاهَةِ الْمُشْرِكِينَ وَجَهْلِهِمْ وَفَسَادِ عُقُولِهِمْ وَإِيْثَارِهِمْ لِآلِهَتِهِمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى[7].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٦).

(٣) ينظر: تفسير المراغي (٨/٤٢).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير (٢/١٢٥).

(٥) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٤٩٩).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٠)، تفسير أبي السعود (٣/١٨٩).

(٧) ينظر: فتح القدير (٢/١٨٧).

***

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ أيْ: ومِثْلُ ذَلِكَ التَّزْيِينِ الَّذِي زَيَّنَهُ الشَّيْطانُ لَهُمْ فِي قِسْمَةِ أمْوالِهِمْ بَيْنَ اللَّهِ وبَيْنَ شُرَكائِهِمْ زَيَّنَ لَهُمْ قَتْلَ أوْلادِهِمْ خَشْيَةَ الإمْلاقِ، ووَأْدَ البَناتِ خَشْيَةَ العارِ، وإنَّما سُمِّيَتِ الشَّياطِينُ شُرَكاءَ؛ لِأنَّهُمْ أطاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعالَى[1].

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يُهْلِكُوهُمْ بِالوُقُوعِ فِي قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَها إلَّا بِحَقٍّ ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ﴾ يَخْلِطُوا[2] ﴿دِينَهُمْۖ﴾ بِالشَّكِّ فِيهِ فَيَضِلُّوا.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ ما فَعَلَ المُشْرِكُونَ ما زَيَّنَ لَهُمْ[3].

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: فَدَعْهُمْ ومَا يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الكَذِبِ، ولَا تَحْزَنْ عَلَيهِمْ ولَا تُبَالِ بِهِمْ[4].

***

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٨].

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: المُشْرِكُونَ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ مُحَرَّمَةٌ ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ مِنْ سَدَنَةِ الأوْثانِ وغَيْرِهِمْ[5] ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أيْ: بِكَذِبِهِمْ وافْتِرائِهِمْ.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٤٤-٣٤٥).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٦).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٤)، تفسير أبي السعود (٣/١٨٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٤٥)، تفسير السعدي (ص٢٧٤)، تفسير الألوسي (٤/٢٧٨).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢/١٩٠).

﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فَلَا تُرْكَبُ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيهَا كَالبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْحَامِ[1].

﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ عِنْدَ ذَبْحِهَا، وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا أَسْمَاءَ الْأَصْنَامِ، وَنَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ[2].

﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ عَلَيْهِ مِنْ تَحْلِيلِ الْحَرَامِ، وَتَحْرِيمِ الْحَلَالِ[3].

***

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:١٣٩].

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الْمُشْرِكُونَ مِنْ ضِمْنِ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الْمُحَرَّمَةِ وَهِيَ الْبَحِيرَةُ والسَّائِبَةُ إِذَا ولِدَ حيًّا[4] ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ حَلَالٌ ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أيْ: نِسَائِنَا[5].

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ أي: وَإِذَا وُلِدَ مَيتًا ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ يَأْكُلُ مِنْهُ الذُّكُورُ وَالْإِنَاثُ[6].

﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ اللَّهُ ﴿وَصْفَهُمْ﴾ أي: كَذِبَهُمْ عَلى اللهِ، بِالتَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ[7].

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ[8].

***

(١) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٢٧٢).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٤)، تفسير النسفي (١/٥٤١).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٤٥)، تفسير الجلالين (ص١٨٦)، تفسير السعدي (ص٢٧٥).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧٥).

(٦) ينظر: فتح القدير (٢/١٩٠).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

(٨) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٠].

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ مَخافَةَ السَّبْيِ وَالْفَقْرِ(١) ﴿سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لِخِفَّةِ عُقُولِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِأَنَّ اللهَ هُوَ رَازِقُهُمْ وَرَازِقُ أَوْلَادِهِمْ(٢)؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الإسراء: ٣١].

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ كَالبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْحَامِ وَغَيْرِهَا مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ(٣) ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: كَذِبًا عَلَى اللهِ تَعَالَى.

﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ إِلَى الصَّوابِ(٤)، وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٠](٥).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٩٤)، تفسير البيضاوي (٢/١٨٥).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٥)، تفسير النسفي (١/٥٤٢).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٩٤).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٥)، تفسير النسفي (١/٥٤٢).

(٥) صحيح البخاري (٤/١٨٤).

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مَّعۡرُوشَٰتٍ﴾ مبسوطات على الْأَرْضِ كَالبِطِّيخِ ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ﴾ قائمة على سوقها كالنَّخْلِ[1].

﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي: متنوعًا طعمُهُ[2]، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِى ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ [سورة الرعد: ٤].

﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ في منظرِهِ وشكلِهِ ولونِهِ ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ في ثمرِهِ وطعمِهِ[3].

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ زكاته ﴿يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ أي: يوم جُذاذِ النَّخلِ وحصادِ الزَّرعِ، وهو العُشرُ أو نصفُهُ[4].

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ بإعطاءِ كلِّه، فلا يبقى لمن تعولونه ما يكفيهم[5]، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا ۝٢٩﴾ [سورة الإسراء: ٢٩].

﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حدَّ لهم بإنفاقِ المالِ في غيرِ موضعِهِ[6].

**وَالْآيَةُ فِيهَا فوائِدُ:**

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير (ص١٤٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧٦).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٣)، تفسير الجلالين (ص١٨٧).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

**مِنْهَا:** وُجُوبُ الزَّكَاةِ فِي الْخَارِجِ مِنَ الأَرْضِ مِنَ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ وَالْمَعْدِنِ وَالرِّكَازِ، وَمَا هُوَ فِي حُكْمِ ذَلِكَ، كَعَسَلِ النَّحْلِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١].

**وَمِنْهَا:** أَنَّ زَكَاةَ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ تَجِبُ يَومَ حَصَادِهِ إِذَا تَمَّ النِّصَابُ؛ لِقَولِهِ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١].

وَهَذَا الْقَولُ قَالَ بِهِ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ، وَهُوَ وَجْهٌ فِي الْمَذْهَبِ(١).

وَالْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ(2)، وَهُوَ قَولُ الْجَمْهُورِ؛ أَنَّ وَقْتَ الْوجُوبِ فِي الْحُبُوبِ إِذَا اشْتَدَّتْ، وَفِي التَّمرِ إِذَا بَدَا صَلَاحُهَا(٣).

**ومِنْهَا:** أَنَّ الزَّكَاةُ تَجِبُ عَلَى الْمُسْتَأْجِرِ وَالْمُسْتَعِيرِ دُوْنَ مَالِكِ الْأَرْضِ، وَهُوَ مُؤَجِّرُهَا أَوْ مُعِيرُهَا:

- لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١].
- وَقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ»(٤).
- وَلِأَنَّ إِيْجَابَهَا عَلَى الْمَالِكِ إِجْحَافٌ يُنَافِي الْمُوَاسَاةَ، وَهِيَ مِنْ حُقُوقِ الزَّرْعِ، بِدَلِيلِ أَنَّهَا لَا تَجِبُ إِنْ لَمْ تُزْرَعْ، وَتَتَقَيَّدُ بِقَدْرِهِ(5).

**وَمِنْهَا:** أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ الْحَوْلُ فِي زَكَاةِ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا فِي حُكْمِهِ كَالعَسَلِ وَالْمَعْدِنِ وَالرِّكَازِ:

❖ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَومَ الْحَصَادِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ اشْتِرَاطِ الْحَوْلِ.

❖ وَلِأَنَّ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ نَمَاءٌ فِي نَفْسِهَا، تُؤْخَذُ الزَّكَاةُ مِنْهَا عِنْدَ وُجُودِهَا، ثُمَّ لَا تَجِبُ فِيهَا زَكَاةٌ ثَانِيَةٌ لِعَدَمِ إِرْصَادِهَا لِلنَّمَاءِ(6).

**وَمِنْهَا:** أَنَّهُ يَجِبُ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ عَلَى الْفَوْرِ، فَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، وَالْأَمْرُ الْمُطْلَقُ يَقْتَضِي الْفَوْرَ.

---

(١) ينظر: المغني (١٢/٣)، المبدع (٣٤٢/٢).

(٢) ينظر: المغني (١٢/٣).

(٣) ينظر: درر الأحكام (١٨٨/١)، الذخيرة للقرافي (٣٢/٣)، المجموع للنووي (٤٦٥/٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٤٨٣).

(٥) ينظر: كشاف القناع (٢١٨/٢).

(٦) ينظر: المغني (٤٦٧/٢)، كشاف القناع (١٧٧/٢).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْيَومَ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْوَقْتِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١] أي: وَقْتَ حَصَادِهِ)1(.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الزَّيْتُونَ فِيهِ زَكَاةٌ:

■لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، فَقَالَ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَهُ.

■وَلِأَنَّهُ يُمْكِنُ ادِّخَارُ غِلَّتِهِ أَشْبَهَ التَّمْرَ وَالزَّبِيبَ، وَهَذَا الْقَولُ رِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ(٢)، وَبِهِ قَالَ الْجَمْهُورُ(٣).

**وَالْأَقْرَبُ** أَنَّ الزَّكَاةَ لَا تَجِبُ فِي الزَّيْتُونِ؛ لِأَنَّ الزَّكَاةَ فِي الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ تَجِبُ فِي كُلِّ حَبٍّ وَتَمَرٍ يُكَالُ وَيُدَّخَرُ، وَالزَّيْتُونُ لَا يُكَالُ وَلَا يُدَّخَرُ، بَلْ هُوَ مِنَ الْخَضْرَوَاتِ وَالْفَوَاكِهِ)4(.

وَأَمَّا الِاسْتِدْلَالُ بِالْآيَةِ فَفِيهِ نَظَرٌ لِأَمْرَيْنِ:

**الْأَوَّلُ:** أَنَّ الْآيَةَ ذَكَرَتِ الرُّمَّانَ، فَتَجِبُ تَسْوِيَتُهُ بِالزَّيْتُونِ، وَهَذَا لَا يَقُولُ بِهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِوُجُوبِ الزَّكَاةِ فِي الزَّيْتُونِ.

**الثَّانِي:** أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ لَا يَعُودُ عَلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ، بَلْ عَلَى النَّخْلِ وَالزَّرْعِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ يَومَ الْحَصَادِ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَجِبُ أَنْ يُؤْتَى زَكَاتُهُ إِلَّا النَّخْلُ يَومَ جُذَاذِهِ، وَالزَّرْعُ يَومَ حَصَادِهِ(٥).

**وَمِنْهَا:** أَنَّهُ لَوْ تَلِفَ النَّخْلُ قَبْلَ جُذَاذِهِ وَالزَّرْعُ قَبْلَ حَصَادِهِ، فَتَسْقُطُ الزَّكَاةُ عَلَى مَالِكِ النَّخْلِ وَالزَّرْعِ إِنْ لَمْ يُفَرِّطْ فِي الْجُذَاذِ وَالْحَصَادِ، فَإِنْ فَرَّطَ فَإِنَّ الزَّكَاةَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ، وَتَبْقَى فِي ذِمَّتِهِ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا بَعْدَ أَنْ بَدَا الصَّلَاحُ فِي تَمَرِ النَّخْلِ أَهْمَلَهُ حَتَّى جَاءَتِ السُّيُولُ، فَأَمْطَرَتْ وَأَفْسَدَتِ الثَّمَرَ فَيُقَالُ: هَذَا مُفَرِّطٌ، فَيَلْزَمُهُ الضَّمَانُ.

---

(١) ينظر: كشاف القناع (٢٨٢/٥).

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة (٦/٣)، الإنصاف (٨٨/٣).

(٣) ينظر: الاستذكار (٢٢٧/٣)، الذخيرة للقرافي (٧٣/٣)، المجموع للنووي (٤٥٢/٥).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٧٠/١٤).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (٥٤٢/١).

وَمِنْهَا: النَّهْيُ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي إِخْرَاجِ الْمَالِ وَأَكْلِ الطَّعَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ[1]؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف:٣١]، وفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ تَعْلِيقًا: «كُلُوا وَاشْرَبُوا، والْبَسُوا وتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ولَا مَخِيلَةٍ»[2]، واللَّهُ أَعْلَمُ.

***

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام:١٤٢].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ ﴿حَمُولَةً﴾ صَالِحَةً لِلْحَمْلِ عَلَيْهَا كَكِبَارِ الْإِبِلِ ﴿وَفَرْشًا﴾ لَا تَصْلُحُ لَهُ كَصِغَارِ الْإِبِلِ وَالْعَجَاجِيلِ وَالغَنَمِ[3].

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: مِمَّا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طُرُقَهُ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ[4] ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنُ الْعَدَاوَةِ[5].

***

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٣].

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أَصْنَافٍ، وَ(ثَمانِيَة) بَدَلٌ مِنَ ﴿وَفَرْشًا﴾ مَنْصُوبٌ[6]، وَهَذِهِ الْأَصْنَافُ الثَّمَانِيَةُ، أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي الْغَنَمِ، وَهِيَ: الضَّأْنُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَالْمَعْزُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَأَرْبَعَةٌ فِي الْإِبِلِ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٥٠).

(٢) صحيح البخاري (٧/١٤٠). وأخرجه موصولًا أحمد في المسند برقم (٦٦٩٥)، وابن ماجه برقم (٣٦٠٥).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٣).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٧).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٧/١١٣)، تفسير الجلالين (ص١٨٨).

وَالْبَقَرِ، ذُكُورًا وَإِنَاثًا[1]، وَهَكَذَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَيءٍ زَوْجَينِ اثْنَينِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات:٤٩][2].

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ تَعَالَى: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ مِنَ الضَّأْنِ والمَعْزِ ﴿حَرَّمَ﴾ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ مِنهُمَا ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى[3].

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ أي: فَسِّرُوا لي بِتَحْقِيقٍ عَنْ كَيْفِيَّةِ تَحْرِيمِ ذَلِكَ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ ذَلِكَ، والِاسْتِفْهامُ لِلْإِنْكارِ[4].

***

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٤].

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: بَلْ أَكُنْتُمْ شُهُودًا حَاضِرِينَ ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ، فَاعْتَمَدْتُمْ ذَلِكَ! لَا بَلْ أَنْتُمْ كَاذِبُونَ فِيهِ[5].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أيْ: لَا أَحَدَ أَعْظَمُ ظُلْمًا وَلَا أَكْبَرُ جُرْمًا[6] ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فَنَسَبَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْ ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦٢٨/٩)، التفسير الوسيط للواحدي (٣٣١/٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (624/9).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٩٧/٣).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٨).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٨).

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٦٤).

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وأَوَّلُ مَنْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: عَمْرُو بْنُ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ، وأَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ، ووَصَلَ الْوَصِيلَةَ، وحَمَى الْحَامِيَ)1(.

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصِيرَهُ وَسُوءَ عَاقِبَتِهِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمْرِو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ –أَمْعَاءَهُ – فِي النَّارِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ»(٣)، وَالسَّوَائِبُ جَمْعُ سَائِبَةٍ، وَهِيَ الْأَنْعَامُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيهَا شَيءٌ(٤).

***

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٤٥].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أي: طَعَامًا مُحَرَّمًا ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ أي: عَلَى آكِلٍ يَأْكُلُهُ(٥).

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَطْعُومُ مَاتَ مِنْ غَيْرِ ذَكَاةٍ شَرْعِيَّةٍ ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سَائِلًا(٦)، وَهُوَ الدَّمُ الَّذِي يَسِيلُ مِنَ الْحَيَوانِ قَبْلَ خُرُوجِ رُوحِهِ بِذَكَاةٍ شَرْعِيَّةٍ(٧) ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ نَجِسٌ حَرَامٌ ﴿أَوْ﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أيْ: ذُبِحَ عَلى غَيْرِ اسْمِ اللهِ تَعَالَى(٨).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٥٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٢٣)، ومسلم برقم (٢٨٥٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٢٠١).

(٤) ينظر: لسان العرب (١/٤٧٨)، تاج العروس (٣/٨٧).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٤).

(٦) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٧٤)، تفسير النسفي (١/٥٤٥).

(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧٧).

(٨) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٩٨).

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَأَكَلَ ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ طَالِبٍ بِأَكْلِهِ التَّلَذُّذَ ﴿وَلَا عَادٖ﴾ وَلَا مُتَجَاوِزٍ حَدَّ الضَّرُورَةِ ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ﴾ لَهُ مَا أَكَلَ ﴿رَّحِيمٞ﴾ بِهِ[1].

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى حَصْرِ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ فِي الْمَذْكُورَاتِ فِيهَا فَقَطْ، وَمَا لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا فَهُوَ مُبَاحٌ، وَقَدْ نُقِلَ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كَعَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ وَجَمَاهِيرَ الْفُقَهَاءِ قَالُوا بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْأَطْعِمَةَ الْمُحَرَّمَةَ لَيْسَتْ مَحْصُورَةً فِيمَا ذَكَرَتْهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَقَطْ، بَلْ ثَبَتَ تَحْرِيمُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَخَاصَّةً أَنَّ سُورَةَ الْأَنْعَامِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، كَمَا أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ جَاءَتْ رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَاتِ قَبْلَهَا مِمَّا حَرَّمُوهُ بِلَا حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ[2].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا حَرَّمَ، وَالْمَعْنَى: يَا مُحَمَّدُ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا إِلَّا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، لَا مَا تُحَرِّمُونَهُ بِشَهْوَتِكُمْ، وَالْآيَةُ مَكِّيَّةٌ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الشَّرِيعَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُحَرَّمٌ غَيْرُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، ثُمَّ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ بِالْمَدِينَةِ، وَزِيدَ فِي الْمُحَرَّمَاتِ كَالْمُنْخَنِقَةِ وَالْمَوْقُوذَةِ وَالْمُتَرَدِّيَةِ وَالنَّطِيحَةِ وَالْخَمْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ أَكْلَ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَكُلَّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ"[3]اهـ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُحَرَّمَاتِ لَيْسَتْ مَحْصُورَةً فِيمَا ذَكَرَتْهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»[4] أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَ عَلَى تَحْرِيمِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ: "وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا التَّحْرِيمِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [سورة الأنعام:١٤٥] فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حُرِّمَ حِينَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْمَطَاعِمِ إِلَّا هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ، وَالتَّحْرِيمُ كَانَ يَتَجَدَّدُ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَتَحْرِيمُ الْحُمُرِ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٦٣٨)، تفسير الجلالين (ص١٨٨)، تفسير السعدي (ص٢٧٧).

(٢) ينظر: أضواء البيان (١/٥٢١).

(٣) تفسير القرطبي (٧/١١٥).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٦٠٤).

بَعْدُ ذَلِكَ تَحْرِيمٌ مُبْتَدَأٌ لِمَا سَكَتَ عَنْهُ النَّصُّ لَا أَنَّهُ رَافِعٌ لِمَا أَبَاحَهُ الْقُرْآنُ، وَلَا مُخَصِّصٌ لِعُمُومِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ نَاسِخًا"(1).

**وَخُلَاصَةُ مَا ذُكِرَ** أَنَّ الصَّحِيحَ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ لَيْسَتْ مَحْصُورَةً فِيمَا ذَكَرَتْهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَأَنَّ مَا ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَحْرِيمُهُ يَجِبُ الْأَخْذُ بِهِ كَتَحْرِيمِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَكُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وَتَحْرِيمُ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَإِنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ تَسْتَقِلُّ بِالتَّشْرِيعِ، وَهِيَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي لِلتَّشْرِيعِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ جَاءَتْ مُكَمِّلَةً وَشَارِحَةً لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

**وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:** حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّشْرِيعِ، حَيْثُ حَرَّمَ أَكْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْأَرْبَعَةِ لِخُبْثِهَا، وَأَحَلَّهَا لِلضَّرُورَةِ لِمَنْ كَانَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ.

***

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٦].

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا حَرَّمَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَبَهُ بِذِكْرِ مَا حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ بِسَبَبِ بَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أَيْ: الْيَهُود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وَهُوَ: مَا لَيْسَ بِمُنْفَرِجٍ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ وَالْبَطِّ(2).

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أَيْ: إِلَّا الشَّحْمَ الَّذِي حَمَلَتْهُ ظُهُورُهُمَا فَإِنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ(3).

﴿أَوِ﴾ حَمَلَتْهُ ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ الْأَمْعَاءُ(4) ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ مِنْهُ كَأَلْيَةِ الضَّأْنِ وَالْجَنْبِ فَإِنَّهُ أَيْضًا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ(5).

---

(١) زاد المعاد (٣/٣٠٣-٣٠٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٣٥٧)، تفسير القرطبي (٧/١٢٥)، تفسير ابن كثير (٣/٣٥٤).

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٤/٦٧٨).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٥)، تفسير ابن كثير (٣/٣٥٥).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٩).

﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّحْرِيمُ ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي: بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:١٦٠].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فِي كُلِّ مَا نُخْبِرُ بِهِ[1].

**وَفِي الْآيَةِ** أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَعْصِيَتِهِ لِرَبِّهِ وَبَغْيِهِ وَعُدْوَانِهِ قَدْ يُحْرَمُ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ كَمَا حَصَلَ لِلْيَهُودِ.

***

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٧].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أَيُّهَا الرَّسُولُ فِيمَا جِئْتَ بِهِ ﴿فَقُل﴾ لَهُمْ: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُعاجِلْهُمْ بِالعُقُوبَةِ[2].

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عَذَابُهُ ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إِذَا جَاءَ، فَلَا تَغْتَرَّ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ عَنْ خَوْفِ عَذَابِهِ[3].

***

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٨].

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ اغْتِرَارِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ، واعْتِذَارِهِمْ مُحْتَجِّينَ بِالْقَدَرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ مَعَهُ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ، كَمَا

(١) ينظر: فتح القدير (١٩٨/٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦٤٨/٩)، تفسير الجلالين (ص١٨٩).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (٥٤٦/١).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة النحل:٣٥]، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ [سورة الزخرف:٢٠][(١)].

﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ أي: وَلَا أَشْرَكَ آباؤُنا[(٢)] ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: وَلَا حَرَّمْنَا نَحنُ وَلَا آباؤُنا أَيَّ شَيءٍ مِمَّا حَرَّمَناهُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالزَّرْعِ، فَإِشْرَاكُنَا وَتَحْرِيمُنَا بِمَشِيئَتِهِ فَهُوَ رَاضٍ بِهِ[(٣)].

وَرَدَّ اللهُ عَلَيهِمْ بِبَيانِ أَنَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ قَدْ أَثارَهَا الْكُفَّارُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَقَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا كَذَّبَ هَؤُلاءِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ رُسُلَهُمْ ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ عَذَابَنَا.

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ بِأَنَّ اللَّهَ رَاضٍ بِذَلِكَ ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾ أيْ: لَا عِلْمَ عِنْدَكُمْ[(٤)].

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أي: مَا تَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وَالظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيئًا[(٥)]؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النجم:٢٨].

﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ أي: وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ عَلَى اللهِ تَعَالَى فِيمَا ادَّعَيْتُمُوهُ[(٦)].

***

## ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٩].

﴿قُلۡ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ وَهِيَ الْقَاطِعَةُ لِشُبَهِهِمْ، وَهَذِهِ الْحُجَّةُ هِيَ الرُّسُلُ، وَمَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ كُتُبٍ، وَمُعْجِزَاتٍ[(١)]، وَلَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَى اللهِ بِمَشِيئَتِهِ[(٢)].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٥٨).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (١٣/١٧٥)، تفسير القاسمي (٤/٢٩٤).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٩).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٩).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧٨).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٥٨).

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أيْ: فَلَوْ شَاءَ اللهُ هِدَايَتَكُمْ لِهِدَاكُمْ[٣]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [سورة الأنعام:٣٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس:٩٩][٤].

***

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٠].

﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ هَاتُوا وَأَحْضِرُوا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ أيْ: يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ هَذَا الَّذِي حَرَّمْتُمُوهُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالزَّرْعِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ بَابِ التَّبْكِيتِ لَهُمْ حَيْثُ يَأْمُرُهُمْ بِإِحْضَارِ الشُّهُودِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ مَعَ عِلْمِهِ أَنْ لَا شُهُودَ لَهُمْ[٥].

﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: فَإِنْ أَحْضَرُوا شُهَدَاءَ فَشَهِدُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ هَذَا فَلَا تُسَلِّمْ لَهُمْ مَا شَهِدُوا بِهِ، وَلَا تُصَدِّقْهُمْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ لَهُمْ، فَكَأَنَّهُ شَهِدَ مَعَهُمْ مِثْلَ شَهَادَتِهِمْ، فَكَانَ وَاحِدًا مِنهُمْ[٦].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ هُمُ الْمُشْرِكُونَ ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يُشْرِكُونَ[٧].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٢٨/٧)، فتح القدير (٢٠٠/٢).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٥٤٦/١).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٨٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٥٨/٣).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢٠٠/٢).

(٦) ينظر: تفسير الزمخشري (٧٨/٢)، تفسير النسفي (٥٤٧/١).

(٧) ينظر: تفسير النسفي (٥٤٧/١)، تفسير البغوي (٢٠٢/٣)، تفسير الجلالين (ص١٨٩).

***

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾»[1] أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَقَالَ: "حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".

وَهَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ مِنَ الْمُحْكَمَاتِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]، وَهَذِهِ الْوَصَايَا الْعَشْرُ كُلُّهَا مِنْ قَبِيلِ الْمَنْهِيَّاتِ، إِلَّا الْوَصِيَّةَ الثَّانِيَةَ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَالْأَخِيرَةَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ أَقْرَأُ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: الَّذِي حَرَّمَهُ رَبُّكُمْ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أي: بِاللهِ، وَالشِّرْكُ بِاللهِ حَقِيقَتُهُ اتِّخَاذُ النِّدِّ مَعَ اللهِ، سَوَاءٌ كَانَ هَذَا النِّدُّ فِي الرُّبُوبِيَّةِ أَوِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَ﴿شَيْئًا﴾ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ، فَتُفِيدُ الْعُمُومَ الْمُطْلَقَ، أَيْ: لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، لَا شِرْكًا أَكْبَرَ، وَلَا شِرْكًا أَصْغَرَ، وَلَا شِرْكًا خَفِيًّا، وَلَا شِرْكًا جَلِيًّا، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ[3].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أَيْ: وَأَحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَلَمَّا كَانَ إِيجَابُ الْإِحْسَانِ تَحْرِيمًا لِتَرْكِ الْإِحْسَانِ ذُكِرَ فِي الْمُحَرَّمَاتِ، وَكَذَا حُكْمُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَوَامِرِ[4].

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٠٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٩٣/٥).

(٣) ينظر: التمهيد في شرح كتاب التوحيد (ص١٦).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (٥٤٧/١).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ مِنْ أَجْلِ فَقْرٍ، ومِنْ خَشْيَتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [سورة الإسراء:٣١](١).

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ لِأَنَّ رِزْقَ الْعَبِيدِ عَلَى مَوْلَاهُمْ(٢)، وقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [سورة الإسراء:٣١]، فَبَدَأَ بِرِزْقِهِمْ لِلِاهْتِمَامِ بِهِمْ، أَيْ: لَا تَخَافُوا مِنْ فَقْرِكُمْ بِسَبَبِهِمْ، فَرِزْقُهُمْ عَلَى اللَّهِ، وأَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَلَمَّا كَانَ الْفَقْرُ حَاصِلًا قَالَ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام:١٥١]؛ لِأَنَّهُ الْأَهَمُّ هَاهُنَا)3(.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: مَا أُعْلِنَ مِنْهَا ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ مَا خَفِيَ مِنْهَا(٤).

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كَالقِصَاصِ وَالْقَتْلِ عَلَى الرِّدَّةِ وَالرَّجْمِ(٥)، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»)6(.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: المَذْكُورُ مُفَصَّلًا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِحِفْظِهِ(٧) ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ عِظَمَ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ عِنْدَ اللهِ فَتَكُفُّوا عَنْ مُبَاشَرَتِهَا(٨).

---

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٧٩)، تفسير البيضاوي (٢/١٨٨).

(٢) يظر: تفسير النسفي (١/٥٤٧)، تفسير القاسمي (٤/٥٣٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٦٢).

(٤) ينظر: فتح القدير (٢/٢٠١).

(٥) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٧٩)، تفسير النسفي (١/٥٤٧).

(٦) صحيح البخاري برقم (٦٨٧٨)، صحيح مسلم برقم (١٦٧٦).

(٧) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٧٩)، تفسير النسفي (١/٥٤٧).

(٨) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٥٣٦).

***

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أيْ: بالخَصْلَةِ الَّتي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ مَالِهِ وَحِفْظِهِ وَتَنْمِيتِهِ[١].

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وَهُوَ سِنُّ الْبُلُوغِ مَعَ الرُّشْدِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّساءِ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة النساء:٦]، فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى بُلُوغَ النِّكاحِ، وَهُوَ بُلُوغُ سِنِّ التَّكْلِيفِ مُقَيَّدًا بِإِيناسِ الرُّشْدِ[٢].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعَدْلِ وتَرْكِ البَخْسِ[٣]، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ تَعَالَى مَنْ بَخَسَ فَقَالَ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [سورة المطففين:١-٦]، وقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ كَانُوا يَبْخَسُونَ الْمِكْيَالَ والْمِيزَانَ[٤].

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أَيْ: طَاقَتَهَا فِي كُلِّ تَكْلِيفٍ مِنَ التَّكَالِيفِ، وَمِنْ ذَلِكَ إِنْ أَخْطَأَ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، واللَّهُ يَعْلَمُ صِحَّةَ نِيَّتِهِ، فَلَا مُؤَاخَذَةَ عَلَيْهِ[٥].

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ قولًا ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيهِ، وَأَنْصِفُوا وَلَا تَجُورُوا[٦] ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المَقُولُ لَهُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ[١] ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قَرَابَةٍ[٢]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ

(١) ينظر: تفسير النسفي (٥٤٨/١)، تفسير أبي السعود (١٩٩/٣).
(٢) ينظر: فتح القدير (٢٠٢/٢).
(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩٠).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٦٤/٣).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩٠).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٦٦٦/٩).

بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء:١٣٥]، وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة:٨][٣].

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وعَهْدُ اللهِ تَعَالَى يَدْخُلُ فِيهِ الْإِتْيانُ بِجَمِيعِ الْمَأْمُوراتِ، والِانْتِهاءُ عَنْ كُلِّ الْمَنهِيَّاتِ، ويَدْخُلُ فِيهِ الْوَفاءُ بِالعُقُودِ فِي الْمُعامَلَاتِ، ويَدْخُلُ فِيهِ أَداءُ الْأَمَانَاتِ وَغَيْرُ ذَلِكَ ﴿أَوْفُوا۟﴾[٤]. وصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ عَهْدَ اللَّهِ سَيُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٤]، أيْ: عَنْهُ[٥].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارَةً إلَى مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآياتِ: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أيْ: أمَرَكُمْ بِالعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أيْ: تَتَّعِظُونَ[٦].

***

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ الْإِشارَةُ إلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيهِ مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ وَغَيْرِهَا ﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ أي: عَدْلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ[١] ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ لِتَنَالُوا الْفَوزَ وَالْفَلَاحَ وَالسَّعَادَةَ فِي دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ[٢].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٩).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩٠).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/١٩٧).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (١٩/٣٣).

(٥) ينظر: أضواء البيان (١/٥٤٧-٥٤٨).

(٦) ينظر: تفسير الخازن (٢/١٧٣)، تفسير القاسمي (٤/٥٣٩).

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الطُّرُقَ الْمُخَالِفَةَ لَهُ ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ﴾ تَمِيلُ ﴿عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ دِينِهِ[٣].

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الِاتِّبَاعُ[٤] ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ عَذَابَ اللهِ تَعَالَى بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، وخَطَّ عَلَى يَمِينِهِ وشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]»[5][٦].

***

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٤].

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا﴾ أَيْ: ثُمَّ أُخْبِرُكُمْ أَنَّا آتَيْنَا ﴿مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التَّوْرَاةَ ﴿تَمَامًا﴾ لِلنِّعْمَةِ[٧] أَوْ ﴿تَمَامًا﴾ كَامِلًا جَامِعًا لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيهِ[٨] ﴿عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ عَلَى كُلِّ مَنْ أَحْسَنَ القِيَامَ بِهِ[٩].

﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾ بَيَانًا ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم﴾ أَيْ: بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ بِالبَعْثِ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ[١٠].

***

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٦٦٩)، تفسير القرطبي (٧/١٣٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٨٠).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩٠).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٩).

(٥) مسند أحمد برقم (٤٤٣٧).

(٦) ينظر: تفسير السمعاني (٢/١٥٧)، تفسير ابن كثير (٣/٣٦٥).

(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٩).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٦٨).

(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٨٩).

(١٠) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٩).

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٥].

﴿وَهَٰذَا﴾ أي: الْقُرْآنُ ﴿كِتَٰبٌ﴾ عَظِيمٌ(١) ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ(٢) ﴿مُبَارَكٌ﴾ كَثِيرُ الخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ(٣).

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَنْهُ(٤)، وَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ(٥).

﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ مُخَالَفَتَهُ(٦) ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فَتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَتَظْفَرُوا بِثَوَابِهِ(٧).

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ لِنَيلِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى اتِّبَاعَ أَوَامِرِ الْقُرْآنِ وَاجْتِنَابَ نَوَاهِيهِ وَالْعَمَلَ بِمَا فِيهِ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابٌ مُبَارَكٌ، كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْمَنَافِعِ وَالْفَوَائِدِ، دَائِمُ الْبَرَكَةِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنَ الْقُرْآنِ.

قَالَ الْعَلَامَةُ عَبْدُالرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَا شَيْءَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنَ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّ كُلَّ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ، وَزِيَادَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ أُخْرَوِيَّةٍ، فَإِنَّهَا بِسَبَبِهِ، وَأَثَرٌ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ"(٨).

***

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٦].

أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ ﴿أَن﴾ لِئَلَا ﴿تَقُولُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الْكُفَّارُ ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى(١) ﴿مِن قَبْلِنَا﴾ وَلَمْ يُنْزِلْ عَلَينَا كِتَابًا(٢).

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/٢٠١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٥).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٩).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٨٠).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/٢٠٦).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٤٩).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٥).

(٨) تفسير السعدي (ص٥٢٥).

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قِرَاءَةِ كُتُبِهِمْ ﴿لَغَافِلِينَ﴾ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا لَهَا إِذْ لَيْسَتْ بِلُغَتِنَا[3]، وَالْمُرادُ: إِثْباتُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِإِنْزالِ القُرْآنِ عَلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، كَيْلا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ: إِنَّ التَوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ أُنْزِلا عَلى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا، وَكُنَّا غَافِلِينَ عَمَّا فِيهِمَا[4].

***

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٧].

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ أي: وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ خَشْيَةَ أَنْ تَقُولُوا: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ كَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ أيْ: إِلَى الْحَقِّ وَأَسْرَعَ مِنهُمْ إِجَابَةً لِلرَّسُولِ[5]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة القصص:٤٨]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى أَيْضًا عَنْهُمْ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [سورة فاطر:٤٢].

﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ عَنْ طَرِيقِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ بِلُغَةٍ تَعْرِفُونَهَا وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿وَهُدًى﴾ بَيَانٌ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ونِعْمَةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ[6].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩١).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٨٠).

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٨٣)، تفسير الجلالين (ص١٩١).

(٤) تفسير النسفي (١/٥٥٠).

(٥) ينظر: تفسير القاسمي (٤/٥٤٣).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٣/٢٠٦).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بَعْدَما عَرَفَ صِحَّتَهَا وَصِدْقَهَا ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أيْ: أَعْرَضَ[1] ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شِدَّةَ الْعَذَابِ وَأَقْوَاهُ[2] ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ آيَاتِ اللهِ، وَصَدِّهِمْ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ[3].

**وَالْآيَاتُ فِيهَا** قَطْعُ حُجَّةِ الْمُشْرِكِينَ بِإِنْزَالِ اللَّهِ تَعَالَى كِتَابَهُ وَإِرْسَالِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**وَفِيهَا أَيْضًا** أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَعَمِلَ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي بِسَبَبِ اتِّبَاعِهَا يَسْعَدُونَ وَيَنَالُونَ رِضَا اللَّهِ وَالْجَنَّةَ.

***

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٨].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ مَا يَنْتَظِرُ الْمُكَذِّبُونَ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ لِأَخْذِ أَرْوَاحِهِمْ إِلَى النَّارِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ[4].

﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ لِلفَصْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ يَومَ الْقِيَامَةِ بِالْقَضَاءِ الْعَادِلِ[5]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَـٰمِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [سورة البقرة:٢١٠]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر:٢٢][6].

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٥٠).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/٢٠٦).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٩٠).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩١).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/٢٠٧)، تفسير الخازن (٢/١٧٤).

(٦) ينظر: فتح القدير (٢/٢٠٦).

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ أيْ: أَوْ يَأْتِي بَعْضُ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ ورَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ»(١)، وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ [سورة الأنعام:١٥٨]: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»2((٣).

﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ أي: لَا يَنْفَعُ كَافِرًا إِيْمَانُهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِإِيْمَانٍ اخْتِيَارِيٍّ، بَلْ هُوَ إِيْمَانُ دَفْعِ الْعَذَابِ وَالبَأْسِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ(٤)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [سورة غافر:٨٤-٨٥](٥).

﴿أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ أي: لَا يَنْفَعُ مُؤْمِنًا مَا عَمِلَهُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِذَا عَمِلَهُ قَبْلَ ذَلِكَ(٦).

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ مَجِيءَ أَحَدِ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذَلِكَ(٧).

**وَالْآيَةُ فِيهَا فَوَائِدُ:**

**مِنْهَا:** تَهْدِيدُ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ الصَّادِّيْنِ عَنْهَا بِقُرْبِ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَحُلُولِ نِقْمَتِهِ وَغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ؛ إِنِ اسْتَمَرُّوا فِي ظُلْمِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦)، صحيح مسلم برقم (١٥٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٥٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٧١).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٥١).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٧٦).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٥١).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٦/٣١٠)، تفسير الجلالين (ص١٩١).

**وَمِنْهَا:** إِثْبَاتُ صِفَةِ الْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ للهِ تَعَالَى، فَيَأْتِي الرَّبُّ سُبْحَانَهُ يَومَ الْقِيَامَةِ لِلفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(١).

وَالْأَشَاعِرَةُ وَغَيْرُهمْ يَصْرِفُونَ مَجِيءَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى غَيْرِ ظَاهِرِ النَّصِّ، فَيَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٨] وَغَيْرِهَا: أَي: جَاءَ أَمْرُ رَبِّك، بِمَعْنَى: عَذَابُهُ(٢).

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تَحْرِيفٌ لِلكَلِمِ عَنْ مَواضِعِهِ؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَ مَجِيءِ الرَّبِّ بِالْأَمْرِ يَنْفِي صِفَةً عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُثْبِتُونَ للهِ تَعَالَى مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، فَإِذَا أَثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ يَجِيءُ، وَأَنَّهُ يَأْتِي، فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَجِيءُ حَيْثُ شَاءَ، وَكَيْفَ شَاءَ، وَفِي أَيِّ وُقْتٍ شَاءَ، وَلَا نُسْأَلُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ(٣).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُبَادِرَ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ تَابَ النَّاسُ أَجْمَعِينَ، ولا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ حِينَئِذٍ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»(4)، وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ السَّعْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ ما تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ»(5).

وَالتَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الْفَوْرِ، فَلَا يَجُوزُ تَسْوِيفُهَا وَلَا تَأْخِيرُهَا، بَلْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ تَأْخِيرَ التَّوْبَةِ ذَنْبٌ يَسْتَوجِبُ التَّوْبَةَ، فَمَنْ فَعَلَ الذَّنْبَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ مِنْهُ قَائِلًا: سَوْفَ أَتُوبُ، فَقَدْ أَسَاءَ مَرَّتَينِ؛ مَرَّةً بِفِعْلِ الذَّنْبِ، وَالْأُخْرَى بِتَسْوِيفِ التَّوْبَةِ مِنْهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْمُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ فَرْضٌ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، فَمَتَى أَخَّرَهَا عَصَى بِالتَّأْخِيرِ، فَإِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ بَقِيَ عَلَيْهِ تَوْبَةٌ أُخْرَى، وهِيَ تَوْبَتُهُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وقَلَّ أَنْ تَخْطُرَ هَذِهِ بِبَالِ التَّائِبِ، بَلْ عِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ، وقَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ مِنْ تَأْخِيرِ التوبة"(٦) انتهى.

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/٢٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٥/٣٥٨)، الإتقان في علوم القرآن (٣/٢٢).

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص٢٧٩-٢٨٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٣).

(٥) مسند أحمد برقم (١٦٧١).

(٦) مدارج السالكين (١/٢٨٣).

وَمِنْهَا: أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى، وَهُوَ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَهِيَ أَوَّلُ الْعَلَامَاتِ خُرُوجًا؛ لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

وَإِذَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْعَلَامَاتُ فَهِيَ مُتَتَابِعَةٌ كَحَبَّاتِ الْعِقْدِ، إِذَا انْقَطَعَ تَسَاقَطَتْ حَبَّاتُهُ وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى[2]، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا»[3].

***

## ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ باخْتِلافِهِمْ فِيهِ فَأَخَذُوا بَعْضَهُ، وتَرَكُوا بَعْضه[4]؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [سورة البقرة:٨٥]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ [سورة النساء:١٥٠][5].

﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ فِرَقًا وَأَحْزَابًا[6]، وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الكُفَّارِ وَكُلِّ مَنِ ابْتَدَعَ وَجَاءَ بِمَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللَّهُ[7]؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ يُفِيدُ العُمُومَ.

﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ أَيْ: أَنْتَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وهُمْ مِنْكَ بُرَآءُ[8]، أو أَنْتَ بَرِيءٌ مِنَ السُّؤالِ عَنْهُمْ، وعَنْ تَفَرُّقِهِمْ[1].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٤١).

(٢) ينظر: لوامع الأنوار البهية (١٤١/٢).

(٣) مسند أحمد برقم (٧٠٤٠).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩١).

(٥) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٨٤).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (١٥٠/٧).

(٧) ينظر: تفسير القرطبي (١٤٩/٧)، فتح القدير (٢٠٨/٢).

(٨) ينظر: تفسير البغوي (٢١٠/٣).

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يَتَوَلَّاهُ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فَيُجازِيهِمْ بِهِ[٢].

**وَالْآيَةُ فِيهَا** الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا فِرَقًا وَأَحْزَابًا، وَذَلِكَ بِسَلْبِهِ شَرَفَ الِانْتِمَاءِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩]، أي: أَنْتَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ بَرِيئُونَ مِنْكَ، وَمَا أَعْظَمَ خَسَارَةَ مَنْ بَرِئَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ! قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَيَتَقِيَنَّ امرؤٌ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ فِي شَيءٍ»[3].

وَاللَّهُ تَعَالَى تَوَعَّدَ مَنْ فَرَّقَ دِينَهُ بِأَخْذِ بَعْضِهِ وَتَرْكِ بَعْضِهِ؛ لِأَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي الدِّينِ يُؤَدِّي إِلَى افْتِرَاقِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ، بَلْ يُؤَدِّي إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالِاقْتِتَالِ، كَمَا حَصَلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا فَرَّقُوا دِينَهُمْ، وَاخْتَلَفُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ هَلَكُوا، فَنَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ كَمَا كَانُوا، وَأَنْ نَتَفَرَّقَ فِي دِينِنَا كَمَا تَفَرَّقُوا هُمْ فِي دِينِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [سورة آل عمران:١٠٥]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾ [سورة الروم:٣١-٣٢].

وَرُغْمَ تَحْذِيرِ اللَّهِ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنَ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ، وَتَحْذِيرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّ دَاءَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ سَيُصِيبُهَا، فَوَقَعَ كَثِيرٌ مِنْ أَفْرَادِهَا فِي تَفْرِيقِ الدِّينِ، وَالِاخْتِلَافِ فِيهِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ افْتِرَاقِهَا وَهَوَانِهَا.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أُمَّتِهِ النَّجَاةَ بِمَا يُنْجِيهِ عِنْدَ الِافْتِرَاقِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٤] رَوَاهُ الشَّيْخَانُ.

فَهَذِهِ الْآيَةُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهَا: "حَضٌّ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الِائْتِلَافِ، وَقِلَّةِ الِاخْتِلَافِ"[5].

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى الِائْتِلَافِ، وَقِلَّةِ الِاخْتِلَافِ أَنْ نَسْتَشْعِرَ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةً وَاحِدَةً فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾

---

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٨٣)، تفسير البيضاوي (٢/١٩١).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٣٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨)، صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

(٥) تفسير ابن عطية (٢/٣٦٧).

[سورة الأنبياء:٩٢] أي: إِنَّ هَذِهِ شَرِيعَتُكُمْ شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ، وَدِينَكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ، وَرَبُّكُمْ وَاحِدٌ، فَلَا تَتَفَرَّقُوا فِي الدِّينِ(١).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، ولِعَظِيمِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهَا وَصِيَّتُهُ لَنَا وَلِلأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَنَا فَقَالَ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [سورة الشورى:١٣].

فهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَصَّى بِهَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ أُولِي الْعَزْمِ نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، ثُمَّ وصَّى بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾.

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٤٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾. وَالِاسْتِثْنَاءُ هُنَا عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَحِمَهُمْ، وَأَمَّا الْمُخْتَلِفُونَ فَلَا تَنَالُهُمُ الرَّحْمَةُ، إِنَّمَا تَنَالُ الَّذِينَ لَمْ يَخْتَلِفُوا(٢).

وَالِاخْتِلَافُ لَمَّا كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مَا يُحْسَمُ بِهِ الْخِلَافُ، وَهُوَ الرُّجُوعُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة الشورى:١٠]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء:٥٩](٣).

***

(١) ينظر: أضواء البيان (٦١/٧).

(٢) ينظر: الاعتصام للشاطبي (ص٦٧٥)، شرح الطحاوية (ص٥٢٧)، مجموع الفتاوى (٥٢/٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٤٥/٢) و(١٩٣/٧).

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠].

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ أي: مَنْ عمِلَها ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ أيْ: عَشْرُ حَسَناتٍ أمْثالُها فَضْلًا مِنَ اللَّهِ تَعالَى وكَرَمًا وإحْسانًا وجُودًا وامْتِنانًا، وهَذا أقَلُّ ما وُعِدَ مِنَ الإضْعافِ، وقَدْ جاءَ الوَعْدُ بأكْثَرَ وبِغَيْرِ حِسابٍ[1]، كَما قالَ تَعالَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ الآيَةَ، وقالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ وقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضاعَفُ، الحَسَنَةُ بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، قالَ اللَّهُ تَعالَى: إلَّا الصَّوْمَ؛ فإنَّهُ لِي وأنا أجْزِي بِهِ»[2] رَواهُ مُسْلِمٌ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، فِيما يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ، قالَ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، ومَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ سَيِّئَةً واحِدَةً»[3].

وفَضْلُ اللهِ واسِعٌ، وعَطاؤُهُ جَمٌّ، ولِذَلِكَ قِيلَ: المُرادُ بِالعَشْرِ الكَثْرَةُ دُونَ العَدَدِ[4].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ إذَا جُوزِيَ، ويَعْفُو رَبُّنا عَنْ كَثِيرٍ إذا تابَ العَبْدُ، أوْ غَلَبَتْ حَسَناتُهُ سَيِّئاتِهِ، أوْ تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، وتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِمَغْفِرَتِهِ[5].

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بِنَقْصِ الثَّوابِ وزِيادَةِ العِقابِ[6].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (١٩١/٢)، تفسير النسفي (٢٠٩/٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٤٩١)، ومسلم برقم (١٣١).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٩١/٢).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢٠٩/٢).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (٥٥٢/١)، تفسير أبي السعود (٢٠٦/٣)، تفسير القاسمي (٥٥٢/٤).

***

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿إِنَّنِي هَدَانِي﴾ أَرْشَدَنِي ﴿رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طَرِيقٍ لَا عِوَجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ(١).

﴿دِينًا﴾ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ إِذِ الْمَعْنَى: هَدَانِي صِرَاطًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٠](٢) ﴿قِيَمًا﴾ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ نُعِتَ بِهِ(٣)، أَيْ: دِينًا قَائِمًا بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ثَابِتًا لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ لِـ ﴿دِينًا﴾. ﴿حَنِيفًا﴾ حَالٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ(٤)، أي: مَائِلًا إِلَى الْحَقِّ(٥) ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِاللهِ.

وَالْآيَةُ فِيهَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالإِعْلَانِ بِشَرِيعَتِهِ، ونَبْذِ مَا سِوَاهَا مِنْ أَضَالِيلِهِمْ، ووَصْفِ الشَّرِيعَةِ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الحُسْنِ، والفَضْلِ، والاسْتِقَامَةِ)6(.

***

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أَيْ: ذَبْحِي لِلْأَنْعَامِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا لِلْأَصْنَامِ وَلَا لِلْأَمْوَاتِ(٧) ﴿وَمَحْيَايَ﴾ مَا أَعْمَلُهُ فِي حَيَاتِي(٨) ﴿وَمَمَاتِي﴾ مَا أَمُوتُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ(١).

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي (١/٥٠٠).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٩١)، تفسير النسفي (١/٥٥٢).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٩١).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٨٤)، تفسير النسفي (١/٥٥٢).

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/٢٠٧)، تفسير الجلالين (ص٧٩).

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/٣٦٨-٣٦٩).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٨١).

(٨) ينظر: تفسير القرطبي (٧/١٥٢).

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ خالِقِهِمْ ومَالِكِهِمْ وَالْمُتَصَرِّفِ فِيهِمْ.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ(٢).

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ﴾ أي: بِالتَّوحِيدِ وَإِفْرَادِ اللهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ مِنْ أُمَّتِي(٣)، فَخَضَعَ للهِ بِالتَّوحِيدِ، وَأَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ [سورة الزمر:١١-١٢](٤).

***

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي﴾ أَطْلُبُ ﴿رَبّٗا﴾ إِلَهًا، وَهُوَ جَوابٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا دَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِبادَةِ آلِهَتِهِمْ(٥).

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ وَكُلُّ مَنْ دُونَهُ مَرْبُوبٌ، لَيْسَ فِي الوُجُودِ مَنْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ غَيْرُهُ(٦).

﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ﴾ أيْ: وَلَا تَعْمَلُ كُلُّ نَفْسٍ عَمَلًا يَكُونُ عَاقِبَتُهُ عَلى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْها، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت:٤٦](٧).

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ أيْ: لَا تُؤْخَذُ نَفْسٌ آثِمَةٌ بِذَنْبِ نَفْسٍ أُخْرَى(٨).

---

(١) ينظر: فتح القدير (٢/٢١٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٨٢)، مرقاة المفاتيح (٣/١٠٨٣).

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٣٨٥)، تفسير ابن عطية (٢/٣٧٠)، تفسير ابن كثير (٣/٣٨٢).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/١٨٠).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٩١).

(٦) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٨٤)، تفسير النسفي (١/٥٥٢).

(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٨٢)، أضواء البيان (١/٣٠٦).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٤٨)، تفسير النسفي (١/٥٥٢).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ الَّذي فَرَّقْتُمُوهُ(1).

**وَفِي الْآيَةِ فَوائِدُ:**

**مِنْهَا:** "الْأَمْرُ بِإِخْلَاصِ التَّوَكُّلِ، كَمَا تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ الَّتِي قَبْلَهَا إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى يُقْرَنُ بِالْآخَرِ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى مُرْشِدًا لِعِبَادِهِ أَنْ يَقُولُوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود:١٢٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [سورة الملك:٢٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة المزمل:٩]، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ(2).

**وَمِنْهَا:** أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤] "إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَزَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُكْمِهِ وَعَدْلِهِ، أَنَّ النُّفُوسَ إِنَّمَا تُجَازَى بِأَعْمَالِهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، وَأَنَّهُ لَا يُحْمَلُ مِنْ خَطِيئَةِ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [سورة فاطر:١٨]، وَقَالَ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [سورة طه:١١٢]، قَالَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ: فَلَا يُظْلَمُ بِأَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُ غَيْرِهِ، وَلَا يُهْضَمُ بِأَنْ يُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة المدثر:٣٨-٣٩]، مَعْنَاهُ: كُلُّ نَفْسٍ مُرْتَهَنَةٌ بِعَمَلِهَا السَّيِّئِ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ، فَإِنَّهُ قَدْ تَعُودُ بَرَكَاتُ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ عَلَى ذَرَارِيهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [سورة الطور:٢١]، أَيْ: أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ شَارَكُوهُمْ فِي الْأَعْمَالِ، بَلْ فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ، ﴿أَلَتْنَاهُم﴾ [سورة الطور:٢١] أَيْ: أَنْقَصْنَا أُولَئِكَ السَّادَةَ الرُّفَعَاءَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا حَتَّى سَاوَيْنَاهُمْ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَنْقَصُ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً، بَلْ رَفَعَهُمْ تَعَالَى

(١) ينظر: تفسير النسفي (٥٥٣/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٨٣/٣).

إِلَى مَنْزِلَةِ الْآبَاءِ بِبَرَكَةِ أَعْمَالِهِمْ، بِفَضْلِهِ ومِنَّتِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الطور:٢١]، أَيْ: مِنْ شَرٍّ"(1).

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:١٦٥].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ تَخْلُفُونَ مَنْ سَبَقَكُمْ(2)؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، فَأُمَّتُهُ قَدْ خَلَفَتْ سَائِرَ الأُمَمِ(3).

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أَيْ: فَاوَتَ بَيْنَكُمْ فِي الشَّرَفِ وَالرِّزْقِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْقُوَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ(٤)، وَلَهُ تَعَالَى الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ [سورة الزُّخرُف: ٣٢] ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ مَرَاتِبَ.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ لِيَختبِرَكُمْ ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أَعْطَاكُمْ؛ لِيَظْهَرَ الْمُطِيعُ مِنكُمْ وَالْعَاصِي(٥).

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَنْ عَصَاهُ(٦).

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ(٧).

***

وَهَذَا آخِرُ الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ العَلَّامِ، وَتَمَّ الْفَرَاغُ مِنْهُ فِي مَسْجِدِ السكيتِ بِحَيِّ الشِّفَا يَومَ الْأَرْبِعَاءِ، الْمُوَافِق ٩/٦/ ١٤٤٣هـ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٨٣-٣٨٤).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٩٢)، فتح القدير (٢/٢١٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٣١٢)، تفسير النسفي (١/٥٥٣).

(٤) ينظر: زاد المسير (٢/٩٩)، تفسير السعدي (ص٢٨٢).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩٢).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص١٩٢).

(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٨٢).